محاورات برتراند رسل

شيخ فلاسفة العصر

ترجمة وتقديم

جلال العشري



١٩٧٩

SSE

الصورة مفقودة من أصل المصدر الورقي

.. حيث يحدد برتراند راسل ..

شيخ الفلاسفة المعاصرين مع مشكلات هذا العصر لقاء شجاعا ومثيرا ، فى وقت واحد ، فهو لا يضع الحلول لهذه المشكلات فقط ، ولكنه يمتعنا بحوار ذكى وحـر وعميق ، يذكرنا بذلك النهج العتيق فى التـأليف الفلسفى ، نهج المحاورات كمـا فى محاورات سقراط وأفلاطون .

وهو من الكتب الشارحة التى تجمع آراءه فى الحيــاة العامة ، كما انه من الكتب الجـامعة التى يستعرض فيهـا كل ما سبق ان ناقشه من مشكلات ، والواقع أن هـــذا الكتاب يعتبر بحق « الوصية الفكرية » لشيخ الفلاسفة المعاصرين .

وهو يقع فى ثلاثة عشر فصلا تدور حول الفلسفة ، والدين ، والحرب ، والسلام ، والشيوعية والرأسمالية ، والأخــلاق ، والسلطة ، والسعادة والوطنية وبريطانيا العظمى ودور الفـرد ، والتعصب والتسامح ، والقنبلة الهيدروجينية ، وأخيرا مستقبل الانسانية .

والكتاب عبــارة عن أسئلة وأجـوبة صيغت على هيئة « محاورات » ، وقد صــورها التليفزيون البريطانى على مدى أربعة أيام ونصف فى ربيع عام ١٩٥٩ ، وذلك دون أى «سكريبت» جاهز ودون أى اعادة للتصوير ، وهو ماتمسك به برتراند رسل لأنه على حد تعبيره .. ليس ممثلا !

وهكذا سجل الفيلم التليفزيوني كلماته كما خرجت من فمه لأول مرة ، وكما سنجدها في هـــذه المحاورات ، التي أجراها ودرو وات من خلال خبرته الكبيرة في التعامل مع الـ ب•ب•س، كمعلق تليفزيوني ، فضلا عن كونه أحد النواب في مجلس العموم البريطاني عن حزب العمال •

ولقد أحدثت هـــذه المحاورات دويا هائلا في الأوساط الثقافية والاعلامية لدى اذاعتها وعقب نشرها ، فقـالت مجلة « اتلانتيك » الشهرية •

« انها تصور فكرى رائع لما ينبغي أن نعرفه في هذه القارة على انه فلسفة جريئة وشجاعة ، وصحيح انها لا تخلو من وخز الضمير ، ولكن الصحيح أيضا انها تعرف كيف تثير الدماء » •

ووصفتها صحيفة « سان فرانسيسكو » بأنها « ضرب من الأعمال الفكرية التي تدل على البراعة ، وتنطوى على القوة » •

أما صحيفة « الهيرالد بوستون » فقد وصفت برتراند رسل صاحب هذه المحاورات بأنه : « انما ينجح في ترويض نفسه على نزع السلاح حتى وهو في أشد حالات العنف والقوة » •

وقالت صحيفة « شيكاغو صنداى تريبيون » : ان ذهنه المتوقد الحي يحرك العديد من الاستجابات المثيرة لدى كل أولئك الذين يشاركونه أسلوبه المرح في ادارة الحوار » •

المحـــــاورة الأولى

ماهي الفلسفـــة؟

وودرو وات :

لورد رسل ، ما هو تعريفك للفلسفة ؟

لوردرسل :

حسنا ، هذا سؤال مثير جدا للجدل والخلاف ، ولا أظن أنك تستطيع أن تجد اثنين من الفلاسفة يعطيانك اجابة واحدة . اما الفلسفة من وجهة نظرى فهى مجموعة من التأملات حـول موضوعات لا نعرفها بالضبط الا على سبيل الاحتمال ، وتلك هى اجابتى الوحيدة ، وليست اجابة احد غيرى .

وات :

اذن ،ما هو الفرق بين الفلسفة والعلم ؟

رسل :

لا بأس ، نستطيع ان نقول بوجه عام ان العلم هو ما نعلم ، اما الفلسفة فهى مالا نعلم ، وهذا تعريف بسيط ، من شأنه ان



لقد اهتدى ديمقريطس الى النظرية الـذرية القائلة بأن المـادة تتألف من ذرات صغيرة ، وبعد أكثر من ألفى سنة ، ثبت صحة هذه النظرية ، مع انها لم تكن فى أيامها أكثر من مجرد افتراض. أو خذ مثلا آخر هو أرسطوخس ، لقد كان أرسطرخس هو أول من افترض ان الأرض هى التى تدور حـول الشمس ، وليست الشمس هى التى تدور حول الأرض ، وأن الدورة اليـومية للأجرام السماوية ليست سوى حركة ظاهرية يمكن تفسـيرها بحركة الأرض ، غير أن هذه النظرية كان نصيبها النسيان ، ولم تبرز الى الوجود الا فى أيام كوبرنيكوس ، أى بعد حـوالى ألفى عام وليس بمستبعد ان كوبرنيكوس لم يكن ليفكر فيها ، لو لم يسبقه أرسطوخس الى ذلك .

وات :

وكيف كان يحدث ذلك ، هل هو نوع من الحدس ؟

رسل :

اوه ، لا ، فالفلاسفة الذين توصلوا الى هذه الفرضيات، لم يكن فى وسعهم أن يقولوا ، « هذه هى الحقيقة ! » وانما كان فى وسعهم ان يقولوا: « قد تكون هذه هى الحقيقة ! » وتكون الخطوة التالية هى أن يتلقف هـــذا الرأى واحد من

المفكرين أصحاب الخيال العلمي الفياض ، فيظل يفكر فى كل الأشياء التى يمكن أن تكون حقيقية ، وهذا هو جوهر العلم . بعبارة أخرى ، أن تبدأ بالتفكير فى امكان أن يكون الشيء حقيقيا ، ثم تنظر فيما اذا كان كذلك أو غير كذلك .

وات :

ولكن ، ألم ينظر أفلاطون الى نظرية ديمقريطس فى الذرات ، على أنها ضرب من الكلام الفارغ ؟

رسل :

كان أفلاطون مروعا من ديمقريطس ، حتى لقد نادى بضرورة حرق جميع كتبه ، وتفسير ذلك أن أفلاطون لم يكن يحب العلم ، وانما كان يحب الرياضيات ، ولا يميل الى كل ما هو علمى .

وات :

وعلى هذا النحو ، تصبح الفلسفة بشكل ما ، خادمة للعلم .

رسل :

هذا صحيح فى بعض جوانبه ، ولكن الفلسفة بالطبع ليست مجرد خادم للعلم ، فهناك من الموضوعات مالا يدخل فى نطاق

أى موضوع من موضوعات البحث هى التحليل ، وذلك بأن تظل تحلل فى الموضوع مرتدا به الى عناصره الأولية التى لايمكن تحليلها الى ما هو أقل منها ، هذه العناصر الأولية هى الذرات المنطقية ، وأنا أسميها ذرات منطقية لأنها ليست جزئيات صغيرة من المادة ، وانما هى أفكارنا عن المادة التى يتألف منها الشىء .

وات :

ما هى وجهة الفلسفة الرئيسية فى هذه الأيام ؟

رسل :

حسن ، علينـا ادن ان نميز بين الأقطـار التى تتـكلم الانجليزية ، والأقطار الأوربية الأخرى ، ففى هذه الأقطار جميعا اختلفت اتجاهات الفلسفة اختلافا بينا عما كانت عليه من قبل . أما الأقطار التى تتكلم الانجليزية ، وخاصة انجلترا ، فقد ظهرت فيها فلسفة جديدة هى على ما أظن ، وليدة الرغبة فى ايجـاد ميدان للفلسفة مستقل عن غيره من الميادين . هذا الميدان كما كنت أقول منذ قليل ، هو الذى يجعل الفلسفة مجرد استكمال المعلم ، ولو ان هناك من الفلاسفة من لا يرتضى هذه النظرة ، ويريد للفلسفة مجالا خاصا بها ، ولقد أدى هـذا بالفلسفة الى جعلها فلسفة لغوية ، بحيث لا تصبح مهمة الفيلسوف هى الاجابة على الأسئلة ، ولكنها توضيح مضامين هـذه الأسئلة . وأنا

شخصيا لا أوافق على هذه النظرة ، وأستطيع أن أوضــح لك ذلك .. كنت ذات مرة ، فى طريقى الى ونشستر راكبا دراجة ، وفقدت الطريق ، فذهبت الى دكان صغير من دكاكين القرية ، وسألت صاحب الدكان ، « هــل تدلنى على أقصر طريق الى ونشستر ؟ » فما كان من الرجل الذى اسأله الا أن سأل رجــلا آخر فى الجانب الآخر من المكان ، بحيث لا أستطيع أن أراه : « السيد يريد أن يعرف أقصر طــريق الى ونشستر ؟ » ومن الخلف جاء صوت الرجل الآخر «ونشستر ؟» ، «نعم» ــ «الطريق الى ونشستر ؟ » ــ « نعم » ــ « أقصر طريق ؟ » ــ « أنا لا أعرفه » وهكذا ذهبت الى حال سبيلى دون أن أحصل على أية اجابة . وهذا ما تظن فلسفة أوكسفورد ان الانسان ينبغى أن يفعله .

وات :

وهل معنى هذا انك تهتم بصحة السؤال ، بصرف النظر عن الاجابة ؟

وسل :

بالطبع ، لان تقديم الاجابة ، هى مهمه شخص اخر .

وات :

وكيف تختلف هذه الوجهة ، عن وجهة أقطار القـــارة الأوربية الأخرى فى هذه الأيام ؟

رسل :

ان أقطار القارة الأخرى ، تتجه فى نظرتها الى الفلســفة وجهة أكثر حيوية ، وهى الوجهة التى لم أعد أوافق عليهـــا ، ولكنها بمعنى من المعانى أكثر حيوية ، وأقرب شبها بفلسفات العصور القديمة ، فهناك أنواع مختلفة من الفلسفة انحدرت من نظرة كيركيجارد الى الوجودية ، وهنـاك فلسفات آلت عـلى نفسها أن تمد تعاليم الدين باللاهوت الجدلى ، هناك أشـــياء مختلفة من هذا النوع ، وأنا شخصيا لا أرى شيئا بالغ الأهمية فى هذا كله .

وات :

وما الفائدة العملية التى تستطيع فلسفتك أن تقدمها الى الانسان ، الذى يريد أن يعرف كيف يقود سلوكه فى الحياة ؟

رسل :

كتب الى عدد كبير من الناس يقولون انهم أصـبحوا فى حيرة تامة من أمرهم ، ولا يعرفون كيف ينبغى عليهم أن يقودوا

زمام أنفسهم ، فقد كفوا عن تقبل التعاليم التقليدية التى ترشدهم الى الصواب ، ولا يعرفون أية تعاليم أخرى ينبغى عليهم أن يتبعوها . وفى رأيى ان هذا النوع من الفلسفة الذى أدين به هو خير ما ينفعهم فى هذه الحال ، فهو يساعدهم على أن يتصرفوا بحيوية حين يعوزهم اليقين التام بأن ما يفعلونه هو الصواب . ولا أظن ان أحدا ينبغى أن يكون على يقين من شىء . فاذا كنت على يقين من شىء ، فأنت يقينا على خطأ ، فما من شىء يحتمل اليقين ، وعلى الانسان باستمرار أن يضع معتقداته موضع الشك ، وأن يكون قادرا على أن يتصرف بحيوية وانطلاق بدلا من التوجس والارتياب . وهذا على أية حال ، هو ما يفعله القائد العسكرى وهو بصدد التخطيط لمعركة حربية ، انه لا يدرى تماما ما الذى سيفعله العدو ، ولكنه اذا كان قائدا جيدا لاستطاع أن يفترض الصواب ، واذا كان قائدا رديئا لما افترض سوى الخطأ . غير اننا فى الحياة العملية علينا أن نتصرف وفقا لمجموعة من الاحتمالات ، وما أنتظر من الفلسفة أن تقدمه هو أن تشجع الناس على أن يتصرفوا بحيوية دون أن يكونوا على يقين تام من صحة هذه التصرفات .

وات :

نعم ، ولكن ماذا تعمل لهؤلاء الناس الذين فقدوا يقينهم

فيما يؤمنون به أو يعتقدون فيه ؟ الا ترى ان هذا الأمر يزيدهم بلبالا ؟

رسل :

نعم ، ان ذلك يحدث لهم لفترة من الزمن ، وفى اعتقادى ان قدرا معينا من البلبال ، انما هوشيء جوهرى للمران على التفكير الذهنى ، غير انهم لو تحصنوا بقدر من المعرفة العلمية ، لاحتفظوا بالتوازن الذى يساعدهم على عدم الوقوع فى هوة الشكوك التى يجب أن يشعروا بها .

وات :

وكيف ترى مستقبل الفلسفة ؟

رسل :

لا أعتقد ان الفلسفة يمكن أن يكون لها فى المستقبل من الأهمية ما كان لها أيام اليونان ولا فى العصور الوسطى ، فنهضة العلم بالضرورة أضعفت من أهمية الفلسفة .

وات :

وهل يمكن أن يوجد بيننا عدد كبير من الفلاسفة ؟

رسل :

أوه ، لا بأس ، فلا أقصد أن الفيلسوف ينبغى أن يعبر عن نفسه على هذا النحو ، وفى تصورى ان من ليسوا فلاسفة يمكن أن يكون لهم رأيهم فى ذلك •

وات :

كيف يمكنك أن تجمل لنا القول فى قيمة الفلسفة فى عالمنا الحاضر ، وفى الأعوام القادمة ؟

رسل :

حسن ، فانا أعتقد ان الفلسفة لها أهميتها القصوى فى عالمنا الحاضر • لانها اولا ، وكما سبق ان قلت ، تجعل الانسان يتحقق من أن هناك عددا كبيرا جدا من الأسئلة البالغة الأهمية لا يستطيع العلم ، على الأقل فى وقتنا الحاضر ، أن يجيب عليها بل ولا تدخل حتى فى نطاق المنهج العلمى ذاته • والشىء الثانى الذى تفعله الفلسفة ، هى انها تجعل الناس أكثر تواضعا فى معارفهم الذهنية ، وأكثر وعيا بأن الكثير مما كانوا يظنون أنهم يعلمونه علم اليقين ، لم يعد كذلك • وان المعرفة أمر بعيد المدى ، وان فهم العالم ، وهو فى اعتقادى الغاية القصوى التى ينبغى أن يتغياها كل فيلسوف ، انما هى مهمة طويلة شاقة ، ينبغى علينا حيالها ألا تقطع أو نجزم بشىء •

المحاورة الثانية

الحرب والسلام

وددرو وات :

لورد رسل ، هل من الجائز أن نتكلم عن حروب عادلة ؟

لورد رسل :

نعم ، من الجائز أن نتكلم عن حروب عادلة ، وان كان هذا بطبيعة الحال ، يتوقف على تعريفك لمعنى كلمة « عادلة » ، فإذا كنت تقصد من ناحية ، الحروب التى كان لها تبرير مشروع ، فمما لا شك فيه انه قد كان هناك عدد من الحروب ذات التبرير المشروع ، والمشروع جدا ، أما اذا كنت تقصد من ناحية أخرى، الحروب التى تنتج عنها من النفع أكثر مما تنتج عنها من الضرر ،

فهذه لا تندرج على الاطـلاق تحت نفس التعريف ، لا تندرج على الاطلاق •

وات :

هل يمكنك أن تضرب لنا أمثلة على كلا النوعين ؟

رسل :

نعم •• هذا أمر يسير ، فان أى حرب تنشب لمقاومة الغزو أو العدوان انما هى فى اعتقـادى حرب عادلة • لقد كان العدل كل العدل فى جانب الحرب التى شـنها الانجليز لمقاومة أسطول الأرمادا الاسبانية ، كذلك كانت حرب المجريين من أجل انتزاع حريتهم حربا عادلة ، وان كانت الحرب الأولى قد حالفها التوفيق، بينما جانب التوفيق الحرب الثانية • أما اذا أدرت السؤال على الوجه الآخر ، فان معنى العدل يأخذ وجهـة أخرى ، ويندرج تحت تعريف مختلف كل الاختلاف ، اذ عليك أن تفكر فيما اذا كانت هذه الحروب ستعود بالخير • ومن أمثلة الحروب التى لم يكن لها أى تبرير مشروع ، احتلال الرجل الأبيض لشمال القارة الأمريكية ، فهذه الحرب فى مجملها أستطيع أن أقـول عنها انها عادت بالخير • على الرغم من أنها لم يكن لها أى سند قانونى مشروع •

وات :

وما رأيك فى حرب الاستقلال الامريكية ؟

رسل :

حسن ، فهذه الحرب كانت لها كل الشرعية ، صحيح انها لم تكن الشرعية القانونية ، ولكنك من ناحية الواقع الفعلى اذا قمت بزيارة لأمريكا الآن ، كان لزاما عليك أن تنتهى الى نتيجة تتضمن ادانة جورج واشنطن ، على أساس أنه لا ينبغى لحكومة قائمة على أساس شرعى أن تقاوم بالعنف ، وهذا بطبيعة الحال فيما لو استعدنا الأحداث .

وات :

وهل تعتقد أن هناك حروبا حالفها النجاح ، ولم يتحقق لها ذلك الا على المدى الطويل ؟

رسل :

أوه ، نعم ، نعم ، خذ مثلا من التاريخ القديم حروب الاسكندر وحروب القيصر ، فكلاهما كان من الغزاة العظام ، وكلاهما دخل فى حروب ليس لها أى تبرير قانونى مشروع ، ولكن الغزوات التى قام بها هذان القائدان ، هى فى اعتقادى مما عاد

بالخير ، فحروب الاسكندر نشرت الثقافة الهلينية فى الشرق الأوسط ، كما نشرت ثقافة اللغة اليونانية ، كذلك حافظت على التراث الثقافى لدى اليونان • وربما لم يكن أحد منا يعرف حتى وقتنا الحاضر ، مدى فضل اليونان على الحضارة ، لو لم يرجع ذلك الى حروب الاسكندر •

وات :

وماذا عن حروب القيصر ؟

رسل :

حسن ، لقد غزا القيصر بلاد الغال ، وجعلها جزءا من العالم المتحضر ، وساعد على نمو اللغة الفرنسية التى نكن جميعا لها كل الاعجاب ، وما كان هذا كله يحدث لولا حروب القيصر •

وات :

ما هى الأسباب الرئيسية التى تؤدى الى نشوب الحروب؟ هل هى الأسباب الاقتصادية ؟ أم هى جنون الحكام ؟ أم هى حماسة الجماهير ؟

رسل :

هناك أمثلة لكل سبب من هذه الأسـباب ، فمن الحروب ما ينشب لهذا السبب ، ومنها ما ينشب للسبب الآخر ، خذ على سـبيل المثال غزو فردريك الأكبر لمملكة مارى تيريز ، فهو فى تقديرى لم يكن يمارس سوى حقه الملكى ، لأنه لم يكن هناك أى سبب آخر على الاطلاق . ففى القرن الثامن عشر ، كان من الجائز جدا ان تخرج الممـالك للحرب دون أى تبرير مشروع الا حقها فى الحرب من أجل المجد والشرف ، غير أن ذلك لم يعد شائعا فيما بعد القرن الثامن عشر .

وات :

وهذا مما يندرج تحت ما سميناه بجنون الحكام .

رسل :

هذا صحيح ، ثم نأتى الى الأسباب الاقتصادية ، التى كانت ولا شك أسبابا فعالة ، بل شديدة الفعـالية فى الحروب الطويلة بين انجلترا وأسبانيا ، فمن ناحيتنا ، كانت الأسباب الاقتصـادية هى الأسـباب الرئيسية ، أما من ناحيـة الأسـبان ، فقد كانت الأسباب التى دفعتهم الى الحرب أسبابا دينية ، وهكذا حارب

الانجليز لأسباب مقبولة ، بينما حارب الأسبان لأسباب لا يمكن قبولها ، ولو أن هذا موضــوع طويل ، لا يعنينا منه سوى أن الحرب من جانبنا كانت لأسباب اقتصادية خالصة • ثم تأتى بعد ذلك الى الأسباب التى ترجع الى حماسة الجماهير ، والتى كان لها دورها فى اشعال الحروب ، فلقد ظــل ولبول رئيسا للوزراء لفترة طويلة جــدا ، الى أن أســقطته أخيرا حماسة الجماهير ، وحتمية دخــول الحرب مع الأسبان ، فلقد اعتدنا دخول الحرب مع الأسبان ، وأحببنا ذلك ، أما هو فكان على العكس من ذلك تماما •

وات :

لقد كنت من دعاة السلام فى الحرب العالمية الأولى، ألا ترى انك لم تكن ميالا بعض الشىء ، لأن تكون من دعاة الســلام فى الحرب العالمية الثانية ؟

رسل :

لا •• لا •• انا لا أظن ذلك على الاطــلاق ، فأنا لم أنظر الى الحروب جميعا من ناحية ما اذا كانت عادلة أو غير عادلة ، وانما كنت أشعر أن بعضــها له ما يبرره ، وأنه لا مبرر للبعض الآخر ، وعلى ذلك ، فالحرب العــالمية الثانية كانت مبررة ، أمــا الحرب العالمية الأولى فلم يكن لها فى نظرى أى تبرير •

وات :

ولماذا نظرت الى الحرب العالمية الثانية على أنها مبررة ؟

رسل :

لأننى كنت أعتقد أن هتلر لا يطاق ولا يحتمل على الاطلاق، وأن نظرية النازى كلها مما يثير الرعب والفزع ، وعلى ذلك فاذا ما قدر للنـــازى أن يغزو العالم ، كما أعلنوا عن ذلك صراحة ، فإن العالم يستحيل الى جحيم لا تصلح فيه الحياة ، وهو ما دعانى الى الجهر بضرورة ايقاف هذا .. بضرورة ايقافه .

وات :

وهل لا تزال عند اعتقادك فى خطأ نشوب الحرب العــالمية الأولى ؟

رسل :

نعم ، فأنا أعتقد أن انجلترا كان ينبغى عليهــا أن تقف على الحياد ، وهــذا هو ما قلته فى حينه ، ولا زلت مستمسكا بقوله الى الآن ، فلو أننا اتخذنا جانب الحياد فى الحرب العالمية الأولى، لما طال أمد الحرب ، ولانتهى الحال بالألمان الى ما هو أقوى من حالهم عند بداية الحرب ، صحيح أنه ليس الحال الأقوى تماما ،

بأى معنى من المعانى ، ولكن ألمانيا فى عهد القيصر ، وعلى الرغم من الدعاية التى كانت لهم فى انجلترا فى ذلك الحين ، لم تكن فى وضع سيىء • والواقع أنه لا تكاد توجد من الحكومات الجيدة التى تعاقبت على ألمانيا فى العصر الحاضر ، الا القدر الضئيل ، والضئيل جدا ، الذى يمكن أن يقارن بحكومة القيصر • وأعود الى تفسير رأيى فأقول ، انك اذا دخلت الحرب مع حكومة سيئة ، فانك دائما وأبدا تنحدر الى الأسوأ ، ولا أظن أن هذا الرأى ينطبق تماما على الحرب ضد النازى ، لأنه لا يمكن أن يوجد ما هو أسوأ من النازى ، ولكنه انما ينطبق بوجه عام• ولو اننا وقفنا على الحياد فى عام ١٩١٤ ، لما كان هناك ما يعرف بالنازى ، ولا حتى ما يعرف بالشيوعية ، فالشيوعيون ما هم الا نتيجة واضحة لتفسخ الجيش الروسى، ولحالة التشوش الكاملة التى عاشتها روسيا فى ذلك الحين ، وهو مالم يكن يحدث أبدا لو لم يطل أمد الحرب •

وات :

وما الذى حدث فى روسيا ؟

رسل :

فى روسيا كان لابد وأن تندلع ثورة على الأوضاع ، الأوضاع التى كانت ستؤول اليها ثورة ١٩٠٥ ، وكان لابد للثوار الاشتراكيين أن يستولوا على السلطة ، غير أنه لم يكن هناك من هم أسوأ من الشيوعيين ، الذين أقاموا فى رأيى نظاما ديكتاتوريا كاملا فى كافة الشئون •

وات :

هل تعتقد أنه ما كان يمكن ان يوجد فى ألمانيا شىء مثل النازى ، وان ألمانيا كان بوسعها أن تتطور تدريجيا نحو الديمقراطية ؟

رسل :

نعم ، وكانت بالفعل فى طريقها الى ذلك ، كانت فى طريقها الى تحقيق ذلك بخطى وطيدة ، تكاد تساوى فى سرعتها ما فعلناه فى انجلترا فى زمن باكر ، وفى اعتقادى أن ألمانيا كانت ستصبح دولة برلمانية ديمقراطية مرموقة ، وما كانت تتردى بأى حال من الأحوال فى تلك الفلسفة النازية التى كانت بمثابة رد فعل لما أصابها من خراب ودمار •

وات :

ولكن ، على افتراض أننا لم ندخل الحرب العالمية الأولى ، فمن المؤكد أن ألمانيا كانت ستغزو فرنسا ، وما أن تفرغ من هذا الغزو حتى تستدير الى انجلترا ، وهى تقول : « اذن ، فلنبدأ فى محو هذا الشىء » .

رسل :

لا أظن أن هناك أى سبب يدعو لمثل هذا التفكير ، فالألمان انما كانوا يريدون أشياء محددة بعينها ، كانوا يريدون أن يسمح لهم بأسطول قوى ، وكانوا يريدون أن يسمح لهم بمزيد من التوسع الاستعمارى أكبر مما كنا نريد لهم ، وكانوا يريدون نوعا من السيطرة على البلقان ، ولكن أطماع القيصر ، بقدر ما أستطيع أن أرى ، كانت محدودة ومحددة تماما ، فلا أظن أنه كان يطمع فى السيطرة على العالم .

وات :

ولكن الحرب العالمية الأولى ، من وجهة نظر أخرى ، من وجهة النظر البريطانية ، كانت حربا مشروعة ومبررة . فما رأيك فى ذلك ؟

رسل :

أوه ، نعم ، كانت مشروعة من الناحية القانونية ، اذا نظرنا اليها من زاوية دخولنا الحرب دفاعا عن بلجيكا ، وتلك بطبيعة الحال مسألة فيها نظر . فاذا وافقت عليها كانت الحرب بالتأكيد مشروعة من الناحية القانونية . غير أننى لا أظن أن كل حرب مشروعة من الناحية القانونية حرب ينبغى أن تخاض .

وات :

هل تعتقد أن الشعوب تحب الحروب ؟

رسل :

حسن ، كثير من الشعوب تحب الحروب . وهذا سبب من الأسباب التى أفزعتنى فى عام ١٩١٤ عندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، فأنا وكل أصدقائى من دعاة السلام ، ممن كنت أزاول معهم العمل ، كنا نظن أن الحروب مفروضة على الشعوب فرضا بفعل المكائد القذرة لدى الحكام ، غير أننى تجولت فى شوارع لندن ، وأخذت أتفرس فى وجوه الناس ، فوجدتهم جميعا يشعرون بمزيد من السعادة الحقيقية أكثر من تلك التى كانوا يشعرون بها قبل الحرب . وقلت هذا فى الصحف ، وأحدثت جراحا غائرة

لأصدقائى من دعاة السلام ، ممن لم يستحبوا منى هذا القول ، ولا زلت أعتقد أن عددا كبيرا من الناس يحبون الحرب ، على شريطة ألا تكون الحرب بالقـرب منهم ، وألا تعـود عليهم بالأضرار ، أما اذا ما نشـبت الحرب فى بلادهم حينئذ لا تكون شيئا يدعو الى السرور •

وات :

طالما أن عددا كبيرا من الناس يحبون الحرب ، فما الذى يمكن عمله فى مشاعرهم العدوانية اذا لم تسـمح لهم الظروف بنشوب الحرب ؟

رسل :

لا أظن أن المشـاعر عدوانية فى جوهرها ، وانما هى محبة للمغامرة ، وفى رايى انـه من الضرورى ، ومن الضرورى جدا ، أن تتاح فرص المغامرة بقدر الامكان امام كل هؤلاء النـاس المحبون للمغامرة ، فينبغى مثلا أن تتاح لهم فرص تسلق الجبال دون أن ينفقوا قدرا كبيرا من المال ، كما ينبغى أن تتاح لهم فرص الذهاب الى القطب الشـمالى أو القطب الجنوبى كلما رغبوا فى ذلك ، وينبغى بوجـه عام أن تتاح لهم كل فرصـة من فـرص المغـامرة •

وات :

هل تظن أن الاسكندنافيين أو حتى السويديين يشعرون بقدر أكبر من السعادة لعدم دخولهم أى حرب منذ أمد طويل؟

رسل :

أوه ، بالطبع أنهم لم يدخلوا فى حرب منذ عام ١٨١٤ ، وعلى ذلك فالسويد كما رأيتها تعد واحدة من أسعد البلاد فى العالم ، كما أن السويديين يستمتعون بالحياة استمتاعا كاملا . ولم الحظ آية علامة تدل على ضيقهم لعدم دخولهم فى آية حرب من الحروب .

وات :

ولكن عددا كبيرا منهم يقدم على الانتحار .

رسل :

أوه ، نعم انهم يفعلون ذلك ، ولكنهم انما يفعلونه نتيجة للكبت الدينى ، فهم ليسوا شعبا متدينا ، والمتدينون منهم رحلوا الى غرب أمريكا ، أما من بقى منهم بالسويد فهم ليسوا متدينين على الاطلاق .

وات :

ولكن ، أليس الدخول فى الحرب جزء من الطبيعة البشرية ؟

رسل :

حسن ، فأنا لا أعرف ما الذى تقصــده بالطبيعة البشرية ، ان طبيعتك البشرية طبيعية الى ما لا نهاية ، وهذا هو ما لا يدركه الناس ، ولا يعملون على تحقيقه ، ولو أنك قارنت بين كلب أليف وذئب متوحش لاســتطعت أن ترى ما الذى يفعلــه الترويض ، فالكلب الأليف كائن لطيف ومريح ، ينبح أحيــانا ، وقد يعض ســاعى البريد ، ولكنه بوجــه عام كائن أليف ، بينما نجد أن الذئب كائن مختلف تماما ، وتستطيع أن تفعل نفس الشيء بالنسبة الى الكائنات البشرية ، فتبعا للطريقة التى تعاملهــا بها تستطيع أن تغيرهــا تغييرا كاملا ، وفى تقديرى أن الفكرة القــائلة بعدم امكان تغيير الطبيعة البشرية ، انما هى فكرة بالغة السخف .

وات :

ولكننا بالتأكيد ، انفقنا وقتا طويلا فى محاولة اقناع الناس بعدم الدخول فى حروب ، ومع ذلك لم نقطع شــوطا فى هــذا السبيل .

رسل :

نعم ، لأننا لم نحاول اقناعهم اقناعا كاملا ، فالقلة ، والقلة الضئيلة هى التى حاولت ، ولكن الكثرة ، والكثرة العريضة لم تحاول شيئا من ذلك .

وات :

ألا تعتقد أن السويدين يكونون أكثر سعادة ، لو أنهم دخلوا حربا تثير حماستهم ولو قليلا ؟

رسل :

لا أعتقد أن هناك أدنى سبب لافتراض ذلك ، لا .. على الاطلاق ، ففى عصرنا الحاضر نجد أن أكثر الشعوب مشتبكة فى حروب ، ومع ذلك فهى ليست فى مثل سعادة شعب السويد ، وهذا على الأقل هو الانطباع الذى خرجت به من أسفارى .

وات :

اذن ، هل يمكنك أن تقول ان الناس لم يكونوا سعداء سعادة تامة بقيام الحرب العالمية الثانية ؟

رسل :

حسن ، لقد اتخذت الحرب العالمية الثانية مسارا مختلفا كل الاختلاف عن المسار الذى اتخذته الحرب العالمية الأولى ، والذين كان عليهم أن يخوضوا غمار الحرب العالمية الأولى لم يكونوا سعداء بطبيعة الحال ، لأنهم كانوا معرضين للموت ، أما أولئك الذين لزموا بيوتهم فهم الذين أحبوا الحرب . أما الحرب العالمية الثانية ، فكانت شيئا مختلفا كل الاختلاف ، وفى اعتقـادى أن الناس لم تكن لديهم المبالاة بالدافع الى الحرب فى الحرب العالمية الأولى .

وات :

تكلمت فى بداية هذه المحـادثة عن الحرب ضد الأسبان ، وهى الحرب التى استدرجنا لدخولهـا ضد رغبات ولبول رئيس الوزراء ولكننا دخلناها استجابة لجنون الجماهير ، هل تعتقد أننا اليوم قد أصبحنا أقل رضوخا لمثل هذا الجنون ؟

رسل :

لا ، لسنا قل رضوخا فى الوقت الحاضر : وفى اعتقادى أن التعليم الذى يعد النـاس لأن يكونوا قادرين على القـراءة لم

يستطع من خلال الصحافة أن يحد من زيادة جنون الجماهير ، غير أنه قد ظهر الآن فى مواجهة الصحافة تيار مضاد بالنسبة لهذا الجنون ، وأقصد به جهاز التليفزيون ، فالناس الآن يتلقون أخبار العالم وهم جالسون فى بيوتهم بدلا من الجلوس فى قاعات كبيرة على هيئة تجمعات بشرية ، مما يعمل على اهاجة المشـاعر ، وفى رأيى أن هذه التجمعات الكبيرة هى السبب الرئيسى فى جنـون الجمـاهير ، وكلما اتجهت هذه التجمعـات فى طريق الضمور والنقصان ، اتجه جنون الجماهير فى نفس الطريق •

وات :

ألا تعتقد أن تجمعات الجماهير فى ميدان الطرف الأغر على سبيل المثـال ، يمكن أن تؤدى بسرعة الى اشعال هذا الجنون عندما توشك الحرب على الاندلاع ؟

رسل :

بالطبع ، اعتقد ذلك ، فميدان الطرف الأغر بعد كل شىء ، فى متناول الجميع ، وما أيسر الوصول اليه ، وهو قادر على أن يقوم بهذا الدور ، ولكن ليس بنفس القدر الذى كان يمكن أن يقوم به من قبل • وفى رأيى أن كل شىء يصبح عبثا بمجرد أن

توشـك الحرب على الاندلاع ، فالتجمعـات البشرية سرعـان ما تتدفق الى ميدان الطرف الأغر لتعبر عن استحسانها ، وسرعان ما تردد قرار الحكومة بتعريضهم جميعا للموت ، وهذا أمر شاذ وغريب ، وهو أمر غير متوقع من ذلك الشيء الذى تسميه الطبيعة البشرية ، ولكن هكذا تسلك الطبيعة البشرية ، وعزائى أن مثل هذا السلوك فى طريقه الى الضمور والنقصان •

●●

المحـــاورة الثـالثـة

الشيوعيـة والرأسماليـة

ودرو وات :

ما هى فى رأيك يالورد رسل ، أوجه التشابه بين الشيوعية والرأسمالية ؟

لورد رسل :

هناك فى اعتقادى أوجه تشابه بين الشيوعية والرأسمالية ، تعد بمثابة النتيجة الحتمية اللازمة عن التقنية الحديثـة ، فالتقنية الحديثة تتطلب عددا من المؤسسات الكبرى التى تدار بطريقة مركزية ، والتى تسفر عن نمط بعينة من الادارات التنفيذية التى تعمل من خـلال هذه المؤسسات ، وهـذا ما يحدث فى البـلاد

الشيوعية والرأسمالية على السـواء ، طالما كانت هذه البلاد فى طريقها نحو التنمية الصناعية .

وات :

هل تعتقد أن هذه المؤسسـات الكبرى ، كما فى روسـيا وأمريكا على سبيل المثال ، يمكن أن تسفر عن تشابه فى الاتجاه الفكرى ؟

رسل :

أعتقد هذا ، دون أن يكون التشابه تشابها كاملا ، أقصد أن هناك اختلافات فى الدرجة دون أن تكون هذه الاختـلافات فى النوع ، ففى تقديرى أن ثمة تشـابها كبيرا جـدا بين المدير السوفيتى وبين رجل الادارة الأمريكى ، صحيح أن هنـاك قيودا أكثر على ما يمكن أن يعمله رجل الادارة الأمريكى ، ولكنهما من حيث النوعية .. نفس الرجل .

وات :

هل تعتقد أن هذا من شأنه أن يؤدى بالشعب فى روسيا كما يؤدى بالشـعب الأمريكى ، الى أن تكون لهمـا متطلبـات متشابهة باعتبارها غايات مثلى فى الحياة كالسيارات ، والمتطلبات المادية ، وما شـابه ذلك ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أنها تجر الى ذلك بشكل كبير جدا ، وهناك فى تقديرى قدر كبير من الهراء الذى يقال عن الشعب الروسى، وكيف أنه شعب مادى ، فأغلب الناس ، أولا وآخرا ، ماديون ، بمعنى أن الأشياء التى يحتاجون اليها ، هى الأشياء التى يمكن شراؤها بالمال ، وهذا جانب سوى فى الطبيعة البشرية ، ولا أظن أنه يكاد يوجد فارق كبير بين الشرق والغرب فيما يتعلق بموضوع المادية ، كما اعتادت الدعاية أن تصور لنا ذلك •

وات :

ذهبت الى روسيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد فترة من الوقت ، عندما أطلق أغلب اليساريين صيحات التهليل لروسيا أبديت ملاحظات تنم عن عدم الاستحسان ، هل لازلت تعتقد أن ما كان يجرى فى روسيا فى ذلك الحين كان شيئا سيئا وغير مرغوب فيه ؟

رسل :

أوه ، هذا صحيح ، وفى اعتقادى أن نظام الحكم الذى ظهر فى روسيا ليس مستحبا على الاطلاق •• من وجهة نظرى الخاصة، فهو نظام لا يسمح بالحرية ، ولا يبيح حرية الحوار ، ولا يجيز

البحث الحر فى المعرفه ، انه نظام شجع على الدوجماطيقيه أو القطعية ، ويسمح باستخدام العنف فى ابداء الرأى ، انه يجيز القيام بعدد من الأشياء التى أراها كمفكر حر قديم بغيضة على النفس وتثير الاشمئزاز .

وات :

هل تعتقد أن هذا النظام لا يزال يقوم بعمل هذه الأشياء ؟

رسل :

أوه ، اعتقد هذا ، وان كنت أعتقد فى ذات الوقت ، ان هذه الأشياء تحدث بدرجة من العنف أقل بكثير مما كانت عليه فى حياة ستالين ، ولكنها تحدث بالتأكيد .

وات :

تحدثت عن النظام الشيوعى فى روسيا ، وكيف أنه يحول دون حرية الفكر ، فكيف تسنى لهم رغم ذلك أن يحققوا مثل هذا التقدم فى المجال العلمى ؟

رسل :

حسن ، سوف اعترف لك بأننى كنت مشدوها بذلك ، ولكنى أعتقد أننى ما كان ينبغى على أن أكون كذلك . ولدينا

مثال اليابان ، فعندما بدأت اليابان تأخذ بأساليب الغرب ، لم تأخذ بهذه الأساليب فى الفكر ، ولكنها أخذت بها فى التقنية فقط ، ومنذ أن هزمت فى الحرب العالمية الثانية ، احتفظت بكل المعتقدات اليابانية القديمة ، على الرغم مما حققته من انجاز شامل فى التقنية الحديثة . أما الروس فلم يحتفظوا بالمعتقدات القديمة، ولكنهم جاءوا بعقيدة يمكنهم أن يفرضوها بالقوة وفى الوقت ذاته لا تتعارض مع التقنية . لقد عرفوا كيف يساعدون الناس على التفكير فى المشكلات التكنولوجية دون أن يعملوا الفكر فى أى شىء أرقى وأسمى .

وات :

هل تظن أن الشيوعيين فى روسيا ، قد نجحوا فى أن يضفوا على الروس مزيدا من السعادة ، كتلك التى كانوا عليها من قبل؟

رسل :

لا أعرف حقيقة ، وفى ظنى أنهم من الممكن أن يكونوا الآن أكثر سعادة ، فمن المؤكد أنهم لم يكونوا كذلك فى أيام ستالين ففى أيام ستالين كان الروسى العادى أقل سعادة عنه فى أيام القيصر ، وربما كانوا أكثر سعادة فى هذه الأيام .

وات :

ما رأيك فى لينين بعد أن التقيت به ؟

رسل :

أقول لك الحقيقة ، لقد أصـــبت بخيبة أمل لدى لقائى مع لينين ، ولا أملك بطبيعة الحال سوى التسليم بأن له بعض المزايا العظيمة للغاية ، فلديه الشجاعة الفائقة ، والارادة الصـــلبة ، والتصميم العظيم ، ولكنه كان أبعد ما يكون قدرة على تجسيد العقيدة ، الا فيما يتعلق بشخصه ، وبهذا المعنى كان لينين رجلا أمينا مع نفســـه ، غير انى أعتقد أن العقيدة التى جـــاء بها كانت ضيقة الأفق ، ومن ثم كان متعصبا ، غير قادر على الاطـــلاق فى التفكير فيما هو خارج الفلك الماركسى .

وات :

هل كان رجلا قاسيا غليظ القلب ؟

رسل :

نعم ، كان هذا هو الانطباع الذى خرجت به بعد مقابلتى له ، غير أنى لا أظن أنه كان فى مثل قسوة ستالين ، ولو أنه على أية حال لا يخلو من ملامح القسوة .

وات :

ما هى فى رأيك العيوب التى تؤخذ على الطريقة التى يعبر بها العالم الحر عن نفسه ، والتى يتبعها فى قيادة زمام امره ؟

رسل :

حسن ، هناك عدد من العيوب ، غير أن أكثر هذه العيوب أهمية ، هى أن العالم الحر ليس حرا ، انه لا يحق له أن يحمل هذا الوصف : « العالم الحر » وانت تعلم بالطبع أننا جميعا فى انجلترا كنا على حذر شديد من عهد الارهاب المكارثى الذى وجد فى أمريكا ، ولكننا فيما أظن ، لا نستطيع أن نؤكد أن شيئا من هذا القبيل حدث عندنا ، فاذا أراد المواطن الأمريكى أن يلتحق بالخدمة العامة حامت حوله شبهة الجاسوسية ، ولا يكتفى بأن توجه اليه أسئلة مباشرة عن ميوله وأفكاره ، بل حتى أساتذة الجامعة كان ينتظر منهم أن يتصرفوا كما لو كانوا جواسيس الحكومة .

وات :

هل تقصد انه اذا ما تقدم أحد خريجى جامعة اوكسفورد بطلب للالتحاق بوظيفة فى الخدمة الحكومية ، فانهم يتوجهون الى أستاذه بالسؤال : « هل ترى أنه شخص موثوق به من وجهة النظر السياسية » ؟

رسل :

هذا ما حدث ، صحيح ان عددا كبيرا من الأساتذة رفضوا الاجابه على متل هده الاسئلة ، ولكن هدا هو ما حدث فعلا ، ولا أعرف ما اذا كان هذا قد حدث فى جامعة أوكسفورد ، ولكن من المؤكد أن شيئا من هذا يحدث •

وات :

لنفترض جدلا أن الحكومة تخلت عن هذا الاجراء الوقائى ، لكى تتحاشى الحاق المواطنين بالخدمة الحكومية ، فمن ذا الذى سيمد الحكومة بأسرار القوى الأجنبية ؟

رسل :

لست أرى ذلك ، ولكن الذى أراه هو أن كل هذه الأعمال المتعلقة بالجاسوسية والأسرار وسائر هذه الأمور، قد تمت بطريقة مبالغ فيها ، مبالغ فيها الى أقصى حد • ومن ناحية الأمر الواقع، فاننا نجد أن الروس قادرون تماما على أن يكتشفوا لأنفسهم كل شىء ، ولا أظن أن الجواسيس أو العملاء قد استطاعوا حقيقة أن يحققوا لهم نفعا أو يلحقوا بنا ضررا ، وفى تقديرى أن هذا نوع من السلوك المثير ، الذى يمسك بخيال الناس •

وات :

ما هو العيب الآخر الذى تأخذه على العالم الحر فى الطريقة التى يعبر بها عن نفسه ؟

رسل :

لا بأس ، ولكن دعنى أضرب لك مثالا آخر يدل على عدم اهتمام العالم الحر بقضية الحرية ، لقد أعدوا أنفسهم للتحالف مع فرانكو ، ونحن نعلم أن نظام حكم فرانكو ينطوى على كل العيوب التى ينطوى عنها نظام الحكم الشيوعى ، فلو كنت تتصرف بناء على أسس أيديولوجية ، لما كانت هناك مصالح تجعلك تتحالف مع اناس يسلكون تماما نفس السلوك الذى تزعم أنك تعارضه .

وات :

وبماذا تسمى هذا العالم ، لو لم تسمه بالعالم الحر ؟

رسل :

أسميه العالم الرأسمالى .

وات :

حتى لو شملت هذه التسمية بلادا ليست حقيقة بلادا رأسمالية ، مثل السويد والنرويج والدنمارك ؟

رسل :

ربما لم يكن من العدل تماما ان نطلق على مثل هذه البلاد مثل هذه التسميه ، وفى اعتقادى ان التمييز الحقيقى والهام هو الديمقراطية البرلمانية ، فالعالم الغربى يؤمن بالديمقراطية البرلمانية ، فيما عدا بعض البلاد مثل أسبانيا والبرتغال ، ولكن العالم الغربى بوجه عام يؤمن بهذه الديمقراطية ، فى الوقت الذى لا يؤمن بها العالم الشيوعى ، وهذا فى تقديرى هو أهم الفروق التى تميز كلا العالمين .

وات :

بصرف النظر عن الأشياء التى ذكرتها ، ما الذى تراه عيبا حقيقيا فى المذهب الشيوعى ؟

رسل :

فى رأيى أن أكثر العيوب أهمية فى المذهب الشيوعى ، هو الايمان بالحكم المطلق ، وهو الايمان الذى أصبح حقيقة ايمانا باليا ، رغم وجوده فى كل أنواع الشيوعية ، ورغم الاصرار على وجوده بطريقة خاطئة ، فلو أنك جئت الى انسان خير وجعلت منه حاكما مطلقا ، فان حكمه المطلق سوف يعيش ، ولكن نزعته الخيرة سوف تخبو وتذبل . والنظرية الشيوعية كلها تقوم على اعطاء أكبر قدر من السلطة لأشخاص موالين لعقيدة بعينها ، على

آمل أن يقوم هؤلاء الأشخاص باستخدام هذه السلطة استخداما خيرا • وفى تقديرى اننا اذا استثنينا نفرا قليلا جدا من الناس ، فان كل انسان انما يسيء استخدام السلطه ، وهنا يصبح أهم ما ينبغى عمله ، هو توزيع السلطة بقدر الامكان ، وليس اعطاء السلطة الضخمة لحفنة صغيرة من البشر •

وات :

هل تقصد بقولك هذا ان الشـيوعيين فى روسيا ، بعد أن أمسكوا عن هذا النظام من نظم الحكم ، لم يعودوا الآن يؤمنون بديكتاتورية البروليتاريا أو الطبقة الكادحة ؟

رسل :

نعم ، هذا هو ما أقصـده ، فكلمة بروليتارى كلمة دارجة فى روسيا ، رغم أنها من الكلمات المطاطة ، فعندما كنت هناك ، وجدتهم ينظرون الى لينين على أنه بروليتارى ، فى الوقت الذى ينظرون فيه الى الشحاذين البؤساء الذين يسيرون فى الشارع ، ولا يكادون يجـدون ما يقتـاتون بـه ، على أنهم من أتبـاع البورجوازية •

وات :

فهمت ما تقصده ، ولكن دعنا ننتقل الى ناحية أخرى استطاعت الشيوعية أن تعمل فيها على نطاق واسع جدا ، وأقصد بها الصين ، هل تعتقد ان الصين اصبحت تشكل تهديدا كبيرا لما أريد أن أسميه الآن بالعالم الحر ، بصرف النظر عن مسألة البرلمان ، شأنها فى ذلك شأن روسيا ؟

رسل :

نعم ، وربما شكلت الصين على المدى البعيد تهديدا أكبر، فالصين أحدث عهدا بالشيوعية من روسيا ، ولا تزال تمر بمرحلة التعصب التى تجاوزها الروس ، هذا فضلا عما فى الصين من كثافة سكانية أكبر بكثير من تلك التى توجد فى روسيا ، وكثافتها السكانية تتألف من الكادحين بحكم طبيعتهم ، أعنى أنهم ظلوا كادحين على الدوام . ولهذا كله فان الصين مؤهلة لأن تكون دولة أقوى من روسيا بكثير ، وأحسب أن لديها عددا غير قليل من الرجال العظام .

وات :

هل تعتقد أن الروس ينظرون الى الصين بمثل هذه النظرة ؟

رسل :

حسن أنت تعلم أن الانسان لا يســتطيع أن يفتى فى هذا الأمر ، ولكن الروس على درجة كبيرة من البراعة اذا أرادوا لك ألا تعلم شيئا عن الحقيقـه ، واذا اوعزت الى ذلك فى صــورة سؤال ، ستجدهم شديدى الحذر فى الاجابة ، ولكن على الانسان أن يفترض ذلك ويتوقعه .

وات :

هذا مفهوم ، ولكن هل تعتقد أن امتناع الروس عن اعطاء الصين أسرار القنبلة الذرية والهيدروجينية مسألة ذات دلالة ؟

رسل :

أوه ، بالطبع ، هذا ما أعتقده وأراه ..

وات :

وهل تعتقد أن التوتر القائم بين العالم الشيوعى والعالم غير الشيوعى ، من شــأنه أن يصيب قضــية الحرية بقدر كبير من الأضرار ؟

رسل :

آوه ، بالطبع ، آنه يصيب الحرية بضرر جسيم ، وأية حالة من التوتر مثل هــذه الحالة لا يمكن اغتفارها ، فهى تحول بين الناس وبين وضوح التفكير • وأنت ترى ان الشرطة سواء فى الشرق او فى الغرب ، تعتقد انك لو درست النظــــام المخالف لوافقت عليه بالضرورة ، وعلى ذلك لا ينبغى ان يسمح لنا بان نعرف عنه أى شىء ، وهذا فى حقيقته هو العبث ، وهو أحــد الأضرار الناجمة عن التوتر القائم بين المعســكرين • أما الضرر الآخر ، فهو اشاعة جو من الشك والارتياب ، يترتب عليه وضع الناس بدون وجه حق موضع الاتهام ، مما يؤدى بهم الى الهلاك أو الدمار • ان هذه الحالة من حالات التوتر تؤدى فى اعتقادى الى العديد من الأضرار ••

وات :

ولكن ، كيف يمكنك أن تتوقع من الروس ، أن يســمحوا لشعبهم بحرية دراسة الأنظمة البرلمانية فى العالم الديمقراطى ، طالما كانت هذه الدراسة ستؤدى بهم الى النظر الى نظام الفكر الحر ، على أنه أفضل من النظام الذى يعيشون فى كنفه ؟

رسل :

حسن ، لسوف يكون هذا شيئا متبادلا ، فهناك فى أمريكا كما تعلم عقبات حقيقية توضع فى طريقك لو أنك أردت أن تدرس النظام الروسى ، وعلى ذلك ينبغى أن تكون هناك موافقة متبادلة بأن يسمح أحدهما بدراسة الآخر ، وفى اعتقادى أننا بمقدار ما سوف نجد عددا كبيرا من الأمريكان يفضلون النظام الروسى ، سنجد عددا مماثلا من الروس يفضل النظام الأمريكى .

وات :

ولكن الشعب فى بريطانيا يدرس الشيوعية بصورة مجنونة؟

رسل :

نعم ، بالطبع ، فهناك نفر بعينه من الشعب يميل الى تفضيل الشيوعية ، وهؤلاء يسمح لهم بالدراسات الجامعية ، وهو ما لا يسمح بمثله فى أمريكا .

وات :

هل تعتقد أنه من الممكن بالنسبة لكل من الشيوعى والرأسمالى ، أن يتعلما كيف يعيشان جنبا الى جنب فى عالم واحد ؟

رسل :

نعم ، هذا ممكن بالتأكيد ، والمسألة انما تتوقف فحسب على أن يعتاد أحدهما على الآخر ، خذ على سبيل المثال المسيحيين والمسلمين ، لقد حارب كل منهما الآخر ما يقرب من الستة قرون ، فى الوقت الذى لم يحقق فيه أحدهما أى انتصارات على الآخر ، وفى نهاية المطاف صاح أحد الناس ممن أوتوا الحكمة والفطنة ، قائلا : « انظروا ، لم لا نوقف هذا القتال الدائر بيننا ونكون أصدقاء » ، وبالفعل أوقفوا القتال ، وصاروا أصدقاء ، وأصبح كل شىء بينهم على ما يرام ، ونفس الشىء يمكن أن يحدث بين الشيوعيين والرأسماليين ، بمجرد أن يتأكد كل من الجانبين أنه لن يستطيع أن يكسب العالم وحده .

وات :

ولكن ، كيف يمكن لهما أن يتوصلا الى هذه الحقيقة ؟

رسل :

أوه ، بالتجربة ، ولن نستطيع بطبيعة الحال أن ننتظر ستة قرون ، لأنه لن يتبقى أحد منا على قيد الحياة بعد ستة قرون من النزاع ، كتلك التى كانت بين المسيحيين والمسلمين . ولكنى أعتقد أنه من الممكن جدا أن تلتقى الحكومات من كلا المعسكرين ليؤكدوا فيما بينهم أنه لابد لهم من التوافق والاتفاق .

المحاورة الرابعة

أخلاق المحرمات

ودرو وات :

ماذا تقصد يالورد رسل بعبارة أخلاق المحرمات ؟

لورد رسل :

حسن ، أقصد بأخلاق المحرمات ذلك النوع من الأخلاقيات الذى يحتوى على مجموعة من القواعد الأساسية بالنسبة لأشياء لا ينبغى على الانسان أن يقترفها ، دون أن يكون هناك أى تبرير عقلى لهذه القواعد . صحيح أن هذا التبرير قد يوجد أحيانا وقد لا يوجد أحيانا أخرى ، ولكن هذه القواعد على أية حال تعتبر قواعد مطلقة ، وهذه الأشياء لا ينبغى على الانسان أن يقترفها أبدا .

وات :

اى نوع من الأشياء ؟

رسل :

حسن ، فهذه الأشياء الآن ، صارت تتوقف على المستوى الحضارى ، ذلك لأن أخلاق المحرمات خاصية مميزة من خواص العقل البدائى ، انهـا فى اعتقـادى الشىء الوحيد الذى كانت تتميز به القبائل البدائية ، فمن أخـلاق المحرمات مثلا ، تحريم الأكل فى الأوانى والصحون التى يستخدمها رئيس القبيلة ، فاذا ما اقترف أحد أفراد القبيلة مثل هذا الاثم ، كان مصيره الموت كما يقولون . هذا وتوجد معتقدات مختلفة على شاكلة هـذا النوع من أنواع التحريم ، ولعلى أذكر أنهم فى مملكة داهومى يلتزمون بقاعدة تحرم على الملك أن ينظر طويلا فى اتجاه واحد . لأن العواصف تهب على المنطقة التى يطيل فيها النظر ، ولذلك كان لزاما عليه أن يحرك رأسه فى جميع الاتجاهات .

وات :

حسن ، هذه هى أنواع المحرمـات فيما يمكننا أن نعتبرها مجتمعات بدائية ، فماذا عن هذه المحرمات فى مجتمعاتنا نحن ؟

رسل :

لا بأس ، فحتى أخلاقياتنا نحن حافلة هى الأخرى بمثل هذه المحرمات ، ففيها كل أنواع المحرمات ، حتى فى أكثر الأشياء مهابة وجلالا ، فعندنا الآن من الآثام ما يعد اثما حقيقيا ، ولو أننى لم اقترف هذا الاثم على الاطلاق ، ألا وهو الذى ينهى : «ولا تشتهى لنفسك الثور الذى عند جارك » ، وأنا ليس عندى الآن أى ثور من الثيران .

وات :

أجل ، ولكن ماذا عن المحرمات اليومية التى نصادفها كل يوم كأمر واقع ، هل لديك أمثلة على مثل هذه المحرمات ؟

رسل :

أوه ، نعم هناك بطبيعة الحال قدر كبير من أخلاق المحرمات التى يمكن اعتبارها منسجمة انسجاما كاملا مع مايمكننى أن أسميه بالأخلاق العقلانية ، من ذلك مثلا أن الانسان يجب عليه ألا يسرق ، ويجب عليه ألا يقتل ، فهذه بمثابة مبادىء سلوكية تتسق مع العقل اتساقا تاما . غير أن هناك مجموعة أخرى من المحرمات ، لها من الأهمية مالا تستحقه على الاطلاق ، ومن ذلك مثلا ما يعد جريمة قتل ، حتى ولو كان قتلا بدافع الرحمة ، كما فى حالة المريض الميئوس من شفائه ، فهذا فى اعتقادى لا يقابل من الانسان العقلانى الا بالتأييد والاستحسان .

وات :

هل تعد من أخلاق المحرمات ما يقوله الهندوس عن تحريم أكل لحم البقر ؟

رسل :

نعم ، هذا مثال نموذجى لأخلاق الهندوس ، فالهندوس يحرمون أكل لحم البقر ، تماما كما يحرم المسلمون واليهود أكل لحم الخنزير ، مع أنه لا يوجد تفسيرعقلى لذلك ، وانما هو نوع من أخلاق المحرمات ..

وات :

حسن ، ولكن الا تعتقد أن هذه المحرمات يمكن أن تحقق غرضا من الأغراض ؟

رسل :

بعضها دون البعض الآخر ، وكلها فى النهاية تتوقف على الغرض الذى تعمل على تحقيقه ، أعنى أنك اذا اتخذت معيارا عقلانيا لسلوكك الأخلاقى ، ـ حينئذ تستطيع أن تنظر الى المحرمات لتميز فيها بين النافع والضار . وان كنت أعتقد أن تحريم أكل لحم البقر ، ليس وراءه نفع على الاطلاق .

وات :

حسن ، ولكن اذا كنت لا تؤمن بأخلاق المحرمات ، واذا كنت أيضا لا تعتقد كثيرا فى القواعد اللاأخلاقية لاخلاق المحرمات هذه ، فهل تؤمن بأى نظام أخلاقى عام ؟

رسل :

نعم ، غير أنه من الصعوبة بمكان ، أن نفصل الأخلاق عن السياسة فصلا تاما ، فالأخلاق كما يبدو لى انما تنهض عبر هذا الطريق ، فالانسان انما ينزع الى فعل ما ينفعه وما يضر الآخرين، لا بأس ، ولكن فعـــله اذا ما عاد بالضرر على عدد كبير من الناس ، فلسوف يجتمعون معا ويقولون : « انظروا الى مثـــل هذا السلوك ، اننـــا لا نستحبه ، ولســـوف ننظر اليه على انه لا يحقق أى نفع للانسان » . ان مثل هذا السلوك ، انما يرجع فيه الى قانون العقوبات ، وهو فى رأيى قانون عقلانى الى أقصى حد ، أنه أسلوب من أساليب التوفيق بين المصلحة الشخصية وبين الصالح العام .

وات :

ولكن الا ترى انه من غير الملائم أن يضع كل انسان لنفسه نظامه الأخلاقى الخاص ، بدلا من أن يتقبل النظام الأخـــلاقى العـــام ؟

رسل :

هذا صحيح ، ولكن الأمر ليس كذلك ، لأن كل انسان فى الواقع ، ليست له خصوصياته المنعزلة تماما عن المجموع ، فهم جميعـا ، كما كنت أقول منـذ قليل ، يجـدون ما يضمن خصوصياتهم فى قانون العقوبات ، وبعيدا عن قانون العقوبات هناك الاستحسان الجماعى والاستهجان الجمـاعى ، فالناس لا يحبون أن يتعرضوا للاستهجان الجماعى ، وفى هذه الحالة فان القانون الأخلاقى المتفق عليه ، يصبح قانونا نافذا وفعالا .

وات :

هل هناك ما يمكن تسميته بالخطيئة ؟

رسل :

لا ، فالخطيئة فى تصورى شىء يصعب تعريفه ، فان كنت تقصد بها مجرد الأفعال غير المستحبة ، فهناك بطبيعة الحـال أفعال مستهجنة وغير مستحبة ، وعندما أقول « غير مستحبة » فانما أقصد بها تلك الأفعال التى تعود بالضرر أكثر مما تعـود بالنفع ، وهناك بالطبع أفعال من هذا القبيل ، غير أنى لا أعتقد أن الخطيئة يمكن أن يكون لها تصور نافع ، فالخطيئة فعل يصح

أن يعاقب عليه ، كما فى فعل القتل ، لا لمجرد أننا نريد أن نمنع جرائم القتل ، ولكن لأن القاتل يستحق أن يعــانى من جراء ما اقترفت يداه .

وات :

هل معنى هذا ان فكرة الخطيئة تظل مقصورة على الحالات التى ترتكب فيها أفعال القسوة ؟

رسل :

أعتقد هذا اعتقادا كاملا ، وفى تصورى ان قســاة البشر وحدهم هم الذين يستحقون الجحيم ، أما أولئك الذين يتمتعون بالمشاعر الانسانية ، لا ينبغى أن يعاملوا معاملة هؤلاء الــذين يعيثون فى الأرض فسادا ، فتحق عليهم لعنة القبيلة ، وانمــا ينبغى أن تتاح لهم فرصة التعديل والتنقيح لما يمكن أن يلاقوه من معاناة فى قواعد الأخلاق ، ومع ذلك فلا أعتقد أن أولئــك الذين يتمتعون بدماثة الخلق ، قد تبنوا هذه النظرة قط .

وات :

اذن ، فأنت تنظر الى مفهوم الخطيئة على أنه مجرد امكانية القضاء على المشاعر العدوانية ؟

رسل :

نعم ، أعتقد هذا ، بل ان هذا هو جوهر ما يمكن تسميته بالأخلاق الصارمة ، انها تدفعك الى تعذيب الآخرين بدون الشعور بالذنب ، ولذلك فهى شىء سيىء •

وات :

كيف يمكننا أن نقبل أشياء ونرفض أشياء ، اذا لم نوافق على افتراض أن هناك شيئا من قبيل الخطيئة ؟

رسل :

حسن ، ان القبول أو الرفض ذاتهما ، منصوص عليهما فى قانون العقوبات ، حيث يمكنك فيما أعتقد أن تجد كل ما يمكنك أن تفعله • ان ما تحتاج اليه حقا هو نوع من الرأى العـــام ؛ والآن تستطيع أن ترى مدى أهمية قراءة تاريخ النهضة الايطالية، هذا التاريخ الذى أسفر عن ظهــور كل النظريات الميكافيالية ، فالرأى العام فى ذلك الوقت أباح أشياء ما كان يمكن أن يبيحها فى أوقات أخرى •

وات :

هل توافق اذن على أن هناك من الأفعال ما يمكن اعتباره أفعالا شريرة ؟

رسل :

لا أحب استخدام هـذه الكلمة .. كلمة « شريرة » فأنا أميل الى استخدام تعبير أفعال ضارة وأفعال نافعة ، أو أفعـال تعود بالضرر أكثر مما تعود بالنفع . واذا صادف الانسان مثل هذه الأفعال فلا ينبغى عليه أن يأتيها ، ومع ذلك تسـتطيع أن تستخدم كلمة « شريرة » ولكنى لا أعتقد أنها كلمة مفيدة .

وات :

ان جانبا كبيرا من أخـلاق المحرمات يمس العـلاقات الجنسية ، كما ان جانبا أكبر من انتاجك وكتاباتك قد دار حول العلاقات الجنسية ، فما هى النصيحة التى يمكنك أن تسديهـا الآن ، لأولئك الذين يريدون أن يقودوا سلوكهم عن اقتنـاع واضعين الجنس موضع الاعتبار ؟

رسل :

حسن ، أود أن أقول بادىء ذى بدء ، ان كل ما كتبته عن الجنس لا يتعدى الواحد فى المائة من كتاباتى ، ولكن الرأى

العام لفرط اهتمامه بالجنس لم يلاحظ التسعة والتسعين الأخرى من كتاباتى التى لا علاقة لها بالجنس ، وانما أردت ان أوضح ذلك فى بداية تناولى لهذا الموضوع ، وفى تصورى أن تخصيص واحد فى المائة لهذا الموضوع انما هو قدر معقول بالنسبة الى الاهتمام الانسانى ، ومع ذلك فسوف أتناول أخلاق الجنس تماما كما تناولت أى موضوع آخر ، وفى تصورى أن الانسان اذا أتى من الأفعال مالا يلحق أى ضرر بأى انسان آخر . لم يكن هناك ما يسوغ ادانة هذه الأفعال . ولا ينبغى علينا أن ندينها بأى حال من الأحوال ، لمجرد أن بعض المحرمات القديمة قد أدانتها من قبل . وانما الواجب علينا أن ننظر فيها لنرى ما اذا كانت ستلحق بالآخرين مثل هذا الضرر أم لا ، وهذا هو الأساس فى أخلاق الجنس ، شأنه شأن كل نوع آخر من أنواع الأخلاق .

وات :

هل تقول بادانة فعل الاغتصاب .. سواء أكان اغتصاب فتاة أو امرأة ، بينما فعل الزنا العادى ، طالما انه لا يؤذى أحدا ، لا ينبغى ادانته بالضرورة ؟

رسل :

نعم ، أقول بكل تأكيد ان فعل الاغتصاب يشبه تمام

الشبه أى فعل آخر من أفعال العنف البدنى ، أما فى حالة الزنا العادى ، فينبغى النظر فى ظروف ارتكاب هذا الفعل ، لنرى ما اذا كان هناك مبرر لادانته أم لا ، ولكن لا ينبغى المبادرة بالادانة فى كل الأحوال كائنا ما كانت الظروف .

وات :

هل تعتقد انه من الصواب أن تكون لدينا قواعد لما يمكن ومالا يمكن أن ينال منا العقاب ؟

رسل :

حسن ، فهذا سؤال يجعلنى أشعر بالانتقال الى الطرف الأقصى من القضية ، القضية التى أخشى الا يتفق معى فيها الا العدد القليل ، والقليل جدا ، ففى اعتقادى أنه لا ينبغى أن توضع أية قواعد لحظر النشر أو المطبوعات مهما كانت غير ملائمة للظروف ، لأنه اذا وجدت مثل هذه القواعد فلسوف يعمد الأغبياء من القضاة الى ادانة الأعمال ذات القيمة الحقيقية اذا ما أحدثت لهم نوعا من الصدمة .. هذا أحد الأسباب . السبب الآخر هو ما أعتقده من أن عملية الحظر هذه ، انما تزيد بطبيعتها من اهتمام الناس بالاباحية فى الأدب والفن ، شأنها فى أى مجال آخر . لقد كنت أذهب الى أمريكا فى مثل هذه الفترات من الحظر ، فكنت أجد عدد السكارى أزيد بكثير عما

كانوا عليه من قبل ، والغريب أن عملية الحظر بالنسبة للاباحية ذاتها تؤدى الى نفس النتيجة ، وسأضرب لك الآن مثلا يوضح ما أقصده بعملية الحظر ، كان الفيلسوف اليونانى أمباد وقليس يعانى عذابا أليما لأنه مضغ أوراق شجر الغار ، وكان يؤمله أن يقضى عشرة آلاف سنة فى هاوية الظلام حتى تعفو عنه الالهة ، وأنا لم يعلمنى أحد أن مضغ أوراق شجر الغار شىء محرم لذلك لم أمضغه أبدا ، أما أمباد وفليس فقد علموه أن هذا الشىء محرم لذلك وقع فى الخطيئة ، وفى اعتقادى أن نفس الشىء ينطبق على عملية الاباحية .

وات :

هل ترى ان اباحة نشر أى عمل يكتبه أى انسان حتى ولو كانت له طبيعة فاضحة ، من شأنه الا يزيد من فضول الناس على الاطلاق ؟

رسل :

فى تقديرى أن ذلك يقلل من فضولهم ، لنفترض على سبيل المثال ، اننا منعنا تداول البطاقات البريدية الفاحشة ، أؤكد لك أنه فى خلال العام الأول أو العامين التاليين سيزداد الطلب عليها بشكل كبير الى أن يمجها الناس ، فلا يقبل عليها أحد بعد ذلك .

وات :

ونفس الشيء ينطبق على الكتابة وعلى كل شيء آخر ؟

رسل :

أعتقد ذلك ، ولكن فى حدود ما هو معقول ، أقصد اذا كان الناس بصدد قطعة فنية رائعة أو عمل أدبى رفيع ، فانهم سوف يقبلون عليه لهذا السبب ، وليس لما ينطوى عليه من أباحية .

وات :

دعنا نعود الآن الى ما كنا تتحدث عنه من قبل ، وأعنى به القواعد غير المعقولة لأخلاق المحرمات ، ترى ما هى الأضرار التى يمكن أن تلحقها بنا الآن ؟

رسل :

حسن ، انها تلحق بنا نوعين مختلفين من الأضرار ، أول هذين النوعين من الأضرار أنها فضلا عن كونها قديمة وبالية ، فقد انحدرت الينا من مجتمع مختلف تماما عن نـوع المجتمع الذى نعيش فيه . كانت هذه الأخلاق تلائم ذلك المجتمع ، ولم تعد بأى حال من الأحوال تلائم عصورنا الحديثة ، وليس أدل على ذلك من عملية التلقيح الصناعى التى نأخذ بها الآن ، ولم

تفكر فيها على الاطلاق تلك الأخلاق القديمة ، هذا نوع من أنواع الضرر . النوع الآخر هو أن أخلاق المحرمات تميل الى تمجيد أعمال العنف العنيفة ، وأستطيع أن أضرب لك عدة أمثلة على ذلك .. خذ على سبيل المثال الأضحية البشرية ، لقد بدأ اليونان فى حقبة باكرة جدا من تاريخهم ، يتحولون عن شعائر الأضاحى البشرية التى كانوا يقدمونها قرابين للآلهة ، ويحاولون أن يهذبوا من هذه الشعائر ، ولكنهم ووجهوا بأحد المجتمعات التى ترفض هذا التهذيب، وتحول دونه، وهو المجتمع الذى كانت توجد فيه كاهنة معبد دلفى . لقد كان مجتمعها يعيش على هذا المعتقد الخرافى ، ولم يشأ أن يعمل على تهذيب هذه الخرافة ، ومن ثم ظل يمارس شعيرة تقديم الأضحية البشرية لفترة طويلة من الزمن ، حتى بعد أن تخلى عنها اليونان .

هذا مثل من الأمثلة ، وأستطيع أن أضرب لك مثالا آخر لا يقل عن ذلك أهمية . لقد كان يعتقد باستمرار أن تشريح الجثة انما هو عمل من الأعمال الشريرة ، الى أن جاء فاسيليوس الذى كان طبيبا بارعا فى عهد الامبراطور شارل الخامس ، ليبرهن على أننا لن نستطيع أن نجرى عمليات طبية كبيرة لها أهميتها البالغة ، ما لم تشرح الجثة ، وبالفعل مارس عملية التشريح ، وكان الامبراطور شارل الخامس مريضا فى ذلك الحين،

ولم يكن أمامه سوى الدكتور فاسيليوس الذى يستطيع أن يشفيه من مرضه ، ولذلك عمل على حمايته . ولكن الامبراطور بعد أن تنازل عن العرش ، لم يجد فاسيليوس من يحميه ، وسرعان ما أدين لاقدامه على تشريح احدى الجثث التى قيل عنها انها لم تكن قد فارقت الحياة ، وكنوع من العقوبة أرسل فى رحلة طويلة خارج البلاد ، وفى أثناء الرحلة غرقت به السفينة ، ومات فاسيليوس مما لاقاه من عنت ، وتلك كانت نهايته ، وما كان يحدث هذا كله ، لو لم يوجد مثل هذا التحريم لعملية تشريح الجثث . وليس من شك فى أن أخلاق المحرمات تعود علينا بالضرر فى هذه الأيام ، خذ مثلا مسألة تحديد النسل ، انها تصادف تحريمات بالغة القوة من جماعات بعينها داخل المجتمع ، على الرغم مما يؤدى اليه هذا التحريم من ضرر بالغ ، بل أكاد أقول ضرر جسيم ، أن مثل هذه الجماعات انما تساعد بعملها هذا على انتشار الفقر ، واندلاع الحرب ، بدلا من أن تساعد على حل الكثير من المشكلات الاجتماعية .

هذه فى اعتقادى هى أكثر الأمثلة أهمية ، وان كان هناك العديد من الأمثلة الأخرى ، فالزواج الأبدى الذى لا طلاق فيه ، هو فى اعتقادى نظام بالغ الضرر ، لقد قام بالتدريج على تراث عتيق ، ولم يقم على اختبار ظروف العصر الحاضر .

المحـــاورة الخـــامســـة

الســــلطـــة

ودرو وات :

ما هي يالورد رسل ، الدوافع التي تدفع الناس الى طلب السلطة ؟

لورد رسل :

أود أن أقول ان الدوافع الأساسية لطلب السلطة ، بصرف النظر عن الدوافع الأخرى التي يستمد منها الناس حبهم للسلطة ، انما تبرز في الأوقـــات التي يتعرض فيها الناس لخطر مجـــاعة مفاجئة ، فعندما يتأكد لك أن مصدر الغذاء لم يعد كافيا ، دون أن تشعر بأية معاناة ، فهذا معناه أنك تقف في موقف السلطة.

وات :

وما هى أنواع السلطة التى يمكن أن تنبثق عن هذا الرأى؟

رسل :

حسن ، هنـاك وسائل متعـددة لتصنيف السلطات ، من اوضحها فى رايى ، السلطة المباشرة على الجسد ، انهـا سلطة الجيوش وقوات الشرطة ، ثم هناك سلطة الثـواب والعقاب ، التى يمكن تسميتها بالسلطة الاقتصادية ، ثم هناك أخيرا سلطة الدعاية ، أو سلطة الاقناع ، وفى اعتقادى أن هذه هى الأنـواع الرئيسية الثلاثة للسلطة .

وات :

هل يمكن يالورد رسل القول بوجود دوافع حسنة ودوافع سيئة لطلب السلطة ؟

رسل :

أود أن أقول مؤكدا ، أن كل انسـان ممن كان له أى تأثير هام فى العالم ، كان مفتونا بشكل أو بآخر بحب السلطة ، وهذا الكلام ينطبق على القديسين بمقدار ما ينطبق على المجرمين، بل هو فى اعتقادى ينطبق كذلك على كل شخص يتمتع بالحيوية والنشاط .

وات :

آلا يحدث غالبا ، أن يحتاج الانسان الذى يبغى أفضـــل الأشــــياء ، الى طلب السلطة أيضــا بما ينطوى عليه من تفاهة وابتذال ؟

رسل :

نعم ، ان هذا كثيرا ما يحدث ، ذلك لأن الولع الشـــديد بالسلطة ، يرجح الرغبة فى الحصول على هذا الشيء أو ذاك من الأشياء ، وهذا ما جعل اللورد أكتون يقول قوله الصحيح من أن السلطة مفسدة ، لأن المتعة التى تنتج عن ممارسة السلطة ، انما يستفحل أمرها مع ممارسة السلطة ذاتها ، خذ «كرومويل» على سبيل المثال ، تجد أنه بلا أدنى شك ، قد مضى فى السياسة بدوافع داخلية جديرة بالثناء ، فثمة أشياء بعينها ، كان يرى فى انجازها أمرا بالغ الأهمية بالنسبة للدولة ، ولكنه بعد أن مكث فى السلطة لفترة طويلة من الزمن ، استغرقه حب السلطة ، وهذا ما جعله يقول وهو على فراش الموت • انه كان يخشى أن يحرم من النعمة الالهية • أوه ، نعم بكل تأكيد ، ان كل انسان يبدى قدرا كبيرا من الطاقة الحيوية ، لابد وأن يطلب السلطة • ولكن ما أطلبه هو نوع واحد بعينه من السلطة ، وأعنى به سلطة ابداء الرأى •

وات :

هل تعتقد أن ما تتمتع به من سلطة الفكر أو ابداء الرأى قد أفسدتك ؟

رسل :

لا أدرى ان كان ذلك قد حدث أم لا ، فلست أنا الذى يرد على هذا السؤال ، وفى رأيى أن الآخرين هم الذين ينبغى أن يكونوا قضاتى فى هذا الشأن .

وات :

هل يمكننا أن نعود أدراجنا الى أنواع السلطة الثلاثة ؟ ولنبـدأ بالسلطة المادية ، سلطة الـدولة أو الشرطة ، باعتبارها مظهرا لسلطة الحكومة ، هل تعتقد أنها ضرورية أو لازمة ؟

رسل :

نعم ، فالانسان يحتاج الى أعمدة السلطة المباشرة ، لحمايته مما قد يعرض له من أضرار ، وتلك كانت الفكرة من اقامة سلطة القضاء ، لحماية الفرد مما قد يعرض له من اتهام ، فأنت تستطيع أن توجه الاتهام الى أى انسان يتراءى لك أنه قد ارتكب خطأ من الأخطاء ، ومن الأهمية بمكان أن يحدث ذلك ، من الأهمية بمكان .

وات :

وهل تعتقد أن هذا هو ما يحدث حقيقة الآن ؟ ألا تعتقد أن الناس لم تعد لديهم الحماية الكافية لا من السلطة الحاكمة ولا من سلطة الشرطة ، ولا من أية سلطة أخرى ؟

رسل :

أوه . أعتقد أن هذا صحيح ، ولكنه ليس يسيرا الى هذا الحد ، أن ترى ما ينبغى عمله فى هذا الصدد ، ففى العـــالم الحديث ، تتخذ القرارات بسرعة بالغة ، وهذا يعنى ضرورة ترك صلاحية اتخاذ القرارات فى أيدى القلة القليلة ، بحيث لا تصبح مصادرة قراراتهم أمرا يسيرا ، ولكنها على أية حال ، مشــكلة بالغة الأهمية ، وينبغى على الانسان أن يضعها موضع الاعتبار .

وات :

وكيف يمكننا أن نعالج هذه المشكلة ؟

رسل :

حسن ، ان الأمر يتوقف على الجانب الذى تفكر فيه من جوانب الحياة ، وفى مقدورى ان اقول على سبيل المثـــال ، ان سلطة الشرطة ، قد تزايدت فى كثير من دول العالم الحديث ،

حتى أصبحت تشكل خطرا بالغا فى الواقع ، فحيثما حاول الشيوعيون أن يستولوا على مقاليد الأمور فى أية دولة من الدول ، لم تكن من قبل خاضعة لنفوذهم ، فأول ما يحاولون الاستيلاء عليه هو ادارة الشرطة • ومن خلالها يستطيعون أن يضعوا فى السجن من يشاءون ، وأن يقدموا الدليل على جريمته• وعلى ذلك فان سلطة الشرطة فى اعتقادى يمكن أن تكون شيئا بالغ الخطورة ، وتأسيسا على هذا ، أود أن أرى فى كل مكان سلطتين للشرطة ، سلطة لتوجيه الاتهام ، وسلطة لاثبات البراءة •

وات :

ألا ترى أن هذا من شأنه تعقيد الأمر ، فضلا عما ينطوى عليه من نفقات باهظة بالنسبة للحكومات ؟

رسل :

نعم ، بالتأكيد هذا صحيح ، ولكن افترض على سبيل المثال ، أنك قد اتهمت بجريمة قتل ، أن دافع الضرائب ، هو الذى يتحمل كل النفقات التى من شأنها اثبات جريمتك، أما أنت فعليك أن تثبت براءتك على حسابك الخاص ، عليك أن تتحمل نفقات اثبات أنك لم ترتكب جريمة القتل ، وهذا فيما يبدو ليس عدلا • اننى أفضل أن ينجو التسعة وتسعون فى المائة من

المذنبين ، على أن يدان برىء واحد ، ولكننا فيما يبدو ، نوجه أمورنا فى الطريق الآخر ، فليس أكثر بؤسا وتعاسة ، من أن يدان تسعة وتسعون بريئا لكى ينجو من العقاب مذنب واحد ، وذلك لأننا نعتقد أن دافع الضرائب عليه أن يدفع نفقات اثبات ادانة المذنب ، أما الشخص العادى ، فعليه أن يتحمل نفقــات اثبات براءة البرىء .

وات :

نعم ، ولكن الذى لا يحدث فى الأعم الأغلب ، هو أن يدان انسان على سبيل الخطأ ، ولايحتاج مثل هذا الأمر ، لأن تتحمل الدولة كل هذه التكاليف الباهظة ، لكى تتأكد من حين لآخر ، من أن أحد الأفراد لم يتهم زورا بجريمة من الجرائم ؟

رسل :

نحن لا نعرف ما اذا كان ذلك لا يحدث فى الأعم الأغلب ، وهذا جانب من جوانب القضية ، وهــو الجانب الذى لا تحب الشرطة أن تفشى سره ، وعلى كل حال ، فيكفى أننا نعرف أنه يمكن أن يحدث فى الغالب ، وصحيح أننا لا نعرف على وجــه التحقيق ، ولكن على أية حال ، فان هذه النفقات الباهظة ، لن تكون أكثر بكثير مما ينفق فى الوقت الحاضر ، من أجل توجيه الاتهام .

وات :

والآن ، دعنا ننتقل الى الكلام عن الاجراءات الحكومية ، هل تعتقد أن الحكومات لا ينبغى أن تكون لديهـا الحرية فى اتخاذ القرارات بمثل هذه السرعة ، دونما رجوع الى الناخبين ، أو شىء من هذا القبيل ؟ ولو افترضنا ذلك ، ألا ترى أنه يشكل قدرا هائلا من الخوف وعدم الكفاية فى اتخاذ القرار ؟

رسل :

نعم ، بالتأكيد ، هذا صحيح ، وهنـاك بعض الأماكن فى العالم الذى نعيش فيه الآن ، يستحيل فيها الرجوع فى القرارات الى مجلس الشعب أو أى مجلس من هذا النوع ، حتى مسائل الحرب والسلام ، وهى أكثر المسائل جميعا أهمية ، انما تتخذ فيها القرارات بسرعة ، وانما يحتاج الأمر الى تغيير كبير جـدا فى كافة الأنظمة فى العالم بأسره ، حتى تتخذ قرارات الحـرب أو السلام ، بتريث وهوادة ، بحيث يمكن أن يعاد فيهـا النظر مرة أخرى . ولو أننا قدرنا على ذلك ، لكان ذلك أمرا عظيما للغـاية .

وات :

ولكن ألا يؤدى هذا الى نوع من عدم الكفاية فى اتخـاذ القرارات ؟

رسل :

انني أعتقد اعتقـادا جازما ، أنه حيثما تتخـذ القرارات السيئة ، فان ما تسميه بعدم الكفاية يكون أفضل ، فتلك هي الطبيعة البشرية ، أو هكذا كانت وحتى الآن ، حيث يرتكب عدد كبير جدا من الأفعال السيئة ، التي يشعر الناس ازاءها بالقلق الشديد الذي يعزى الى الكفاية . وربما كان من حق الانسان أن يقول ان بقاء الجنس البشري انما يعزى الى عدم الكفاية ، ولو أن عدم الكفاية قد أصبح محدودا في الوقت الحاضر ، ومن ثم غدا الجنس البشري مهددا بالانقراض .

وات :

ولكن ، كيف يمكن للبلادة وعدم الكفاية أن يساعدا على بقاء الجنس البشري ؟

رسل :

بأن يحـدد الجنس البشري طاقته على أن يقتـل بعضه البعض الآخـر ، فلو كنت قاتلا ماهرا لكنت كفءا ، ولكان ضحيتك عدد كبير من الناس . أما اذا كنت قاتلا غبيا ، لألقي القبض عليك ، وأوقفت عند حدك ، ولسوء الحظ فان القتـلة انما يزداودن ذكاء فوق ذكاء .

وات :

هل يمكننا أن نرجع قليلا الى نوع آخـر من السلطة ، وليكن السلطة الاقتصادية ، هل تعتقد أن ماركس أكد أكثر مما ينبغى على أهمية السلطة الاقتصادية ؟

رسل :

ماركس فى المقام الأول ، ركز تركيزا بالغـا على السلطة الاقتصادية ، فى مقابل أشكال أخرى من السلطة ، ثم هو فى المقام الثانى انخدع بالحالة التى كان عليهـا العمل فى انجلترا فى الأربعينات من القرن التاسع عشر ، حتى لقد ظن أن ملكية وسائل الانتاج وليست الادارة التنفيذية هى التى تعطى السلطة، وكلا هذين التفسيرين هما اللذان قاداه الى وصف ذلك الدواء الناجع الكفيل بشفاء كافة الأدواء التى يعانى منها العالم .

وات :

وأين تضـع السلطة الاقتصـادية فى مكانهـا من مراتب الأهمية ؟

رسل :

أوه ، ان السلطة الاقتصادية لهـا أهميتهـا الكبرى فى الواقع ، ولكنها مجرد شكل من أشكال السلطة ، فأنا لا أستطيع

الزعم بأنها أكثر أهمية من السلطة العسكرية ، ولا أكثر أهمية من سلطة الدعاية ، والآن لنضرب مثلا على ذلك ، لعلك تذكر الملكة بوأديسيا وكيف تمردت على الرومان ، وكان سبب تمردها أن سنيكا أقرضها مبلغا كبيرا من المال ، مع نسبة عالية جدا من الفوائد ، ولكنها لم تستطع أن تحصل على هذا المال ، وما كان ذلك الا لأن سنيكا فى ذلك الحين ، كان يتمتع بسلطة اقتصادية ، ولكن بوأديسيا بعد أن قد قهرت تماما من الجيش الرومانى ، كان سنيكا نفسه قد لقى حتفه على يد الامبراطور ، ولم يكن ذلك بفعل السلطة الاقتصادية ، وانما كان بفعل السلطة العسكرية .

وات :

هل تعتقد أن السلطة الاقتصادية تحتاج الى كبح ؟

رسل :

نعم ، بل أعتقد أن كل نوع من أنواع السلطة فى حاجة الى ما يكبح جماحه ، ذلك لأن السلطة التى فى مقدورها اجاعة عدة بلاد أو أقاليم ، سلطة غير مرغوب فيها ، ولا هى محببة الى النفس . وفى اعتقادى أن السلطة الاقتصادية التى تتمتع بها بلاد بعينها فى الشرق الأوسط ، والتى فى مقدورها أن تضخ

الزيت أو لا تضخه حسبما يتراءى لها ، لا يمكن بحـــال من الأحوال أن تكون سلطة من النوع المستحب أو المرغوب فيه ٠

وات :

والسلطة الدعائية ، ما مدى أهميتها ؟

رسل :

أوه ، السلطة الدعائية لها أهميتها البالغة ، وان أهميتهــا لفى تزايد مستمر ، وعندما يقول الناس ، ان دماء الشهداء هى بذور الكنيسة ، فان هذا القول يعنى أن دماء الشهداء تنطوى على قدر ضخم من السلطة الدعائية ٠ وعندما يقول النـــاس ان الحق لابد وأن يظهر ، انما يقصدون بقولهم أن الرأى الـــذى يبدى الآن ، سوف ينتشر فى المستقبل ٠ وعلى ذلك فالدعاية لها أهميتها القصوى بكل وسيلة من الوسائل ، ولاشك أن الديانة المسيحية لم تستقر تماما لا بفضل السلطة الاقتصادية ولا بفضل السلطة العسكرية ٠

وات :

وهل تعتقد أن السلطة الدعائية سيئة على الدوام ؟

رسل :

أوه ، كلا بالتأكيد ، أوه ، لا ، انها انما تكون سيئة حين تخلط الأفكار الجيدة بالأفكار الرديئة ، ولكنى لا أعتقد على الاطلاق انها سيئة على الدوام ، واذا تراءى لك أن تقول ذلك ، كان معنى قولك أن كل أنواع التعليم سيئة ، لأن كافة أنواع التعليم ، تنطوى على نوع من الدعاية .

وات :

هل تعتقد أن قوة السلطة الدعائية تحتاج الى ما يكبح جماحها ؟

وهل أصبح الناس تحت وطأة وسائل الدعاية والاعلام ، غير قادرين على أن يفكروا لأنفسهم بشكل واضح ؟

رسل :

أوه ، لاشك أن الدعاية غدت فى حاجة الى ما يكبح جماحها ، وفى اعتقادى أن الآراء المتداولة عن الفكر الروسى ، يفوق معدلها عما تحتله من مكانة فى الدول الغربية ، من حيث بعدها البعيد عن الحقيقة ، وهذا راجع الى مدى تأثير الدعاية على التعليم ، على نحو ما نجده فى الدول الشيوعية . أما فى الدول غير الشيوعية فالرقابة لاتزال أقل بكثير ، وأن كان لايزال

بها قدر كبير من الرقابة ، القصد منه لا أن يفكر الناس لأنفسهم تفكيرا سليما ، ولكن أن يفكروا فيما تفكر لهم فيه الحكومة .

وات :

وماذا عن الغرب ؟ هل تحتاج السلطة الدعائية الى كثير من كبح الجماح فى الغرب ؟

رسل :

انها بالتأكيد تحتاج الى هذا الكبح ، ليس الى هذه الدرجة، ولكنها تحتاج الى قدر من كبح الجماح ، ذلك لأنك ستجد فيما يعطى من تعليم فى المدارس والجامعات ، ألا أثر لحرية الرأى أو للتنافس الحر بين مختلف أنواع الآراء ، وانما آراء بعينها هى التى تحظى بالعناية والانتشار على حساب آراء أخرى .

وات :

والآن ، ما مدى أهمية مشكلة استخدام السلطة بوجهيها النافع والضار فى حياة الانسان ؟

رسل :

فى اعتقادى أنها مشكلة لها أهميتها القصوى ، والواقع أننى أرى فى هذه المشكلة الفارق الرئيسى بين حكومة جيدة وحكومة

رديئة ، ففى الحكومة الجيدة ، تستخدم السلطة فى حدود ، وعلى مستوى المراجعات والتوازنات ، أما فى الحكومة الرديئة، فالسلطة انما تستخدم بلا قيد ولا شرط • وفى اعتقادى أنها مسألة بالغة الأهمية •

وات :

هل تعتقد ، ودعنا نتكلم بصراحة ، أن النظم الديمقراطية فى الغرب ، تحرص على نوع من التوازن المنطقى الدقيق ، بين حاجة الحكومة الى اتخاذ اجراء بطريقة قاطعة وحازمة ، وبين حاجتها الى اقناع الناس بأن هذا الاجراء الذى اتخذته انما يتوافق مع ما يتطلبونه ؟

رسل :

حسن ، دعنى أؤكد لك أننا أفضل بكثير من الحكومات الديكتاتورية ، أفضل بكثير جدا ، وسبب ذلك أننا لدينا ضوابط معينة على السلطة ، وان كنت أعتقد أننا ينبغى أن نحظى بمزيد من الرقابة المباشرة ، عما نحظى به الآن عن طريق الانتخابات العامة • ففى عالمنا الحديث ، حيث تتكامل الأشياء بعضها مع البعض الآخر ، بطريقة بالغة التعقيد ، ينبغى فى اعتقادى ، أن يكون لدينا المزيد مما نتمتع به فى مجالس الشعب أو مجالس العموم •

وات :

ألا تعتقد أن مجالس الشعب أصبحت طرائق غــير ملائمة لتحقيق ذلك ؟

رسل :

أوه ، لقد أصبحت بطيئة وغير ملائمة ، ولكنى أعتقد أنها أفضل من أى نظام ، تستطيع فيه الحكومة ، وفى أى لحظة ، أن تغرق البــلاد فى كارثة تامة أو شاملة دونمــا استشارة من أى انسان .

المحاورة السادسة

ماهى السعادة ؟

ودرو وات :

أنت تبدو يالورد رسل كما لو كنت انسانا سعيدا للغاية ، هل أنت كذلك حقا ؟

لورد رسل :

لا ، لست كذلك على الاطلاق ، لقد مررت بفترات ذقت فيها طعم السعادة ، ومررت بفترات أخرى لم أذق فيها للسعادة طعما ، وربما كان من حسن حظى ، أن فترات السعادة تبدو لى أكثر طولا ، كلما تقدم بى العمر .

وات :

ماذا كانت أتعس فترات حياتك ؟

رسل :

حسن ، لقـد كنت تعيسـا للغاية فى فترة مراهقتى ، وفى اعتقادى أن هذا هو شأن أكثر المراهقين ، لم يكن لدى أصدقاء، بل لم يكن لدى من أستطيع أن أتحدث معه . كنت أفكر مليا فى الانتحار طوال الوقت ، وكنت أكبح جماح نفسى بصعوبة حتى لا أقدم على هذا الفعل . وهو التفكير الذى لم يكن سليما على الاطلاق ، أوه ، لقد خيل لى تماما أننى لم أكن سعيدا أبدا ، ولكنه كان مجرد تخيل ، كما اكتشفت ذلك فى أثناء حلمى ، لقد حلمت بأننى فى غاية المرض ، وبأننى أعانى آلام الاحتضـار ، وتصادف أن كان يقف الى جوارى البروفسور جويت . مترجم أفلاطون ، وأحد المثقفين ممن كان صديقا لأسرتى ، وكان صوت البروفسور جويت قصيرا وحادا كالصرير ، فقلت له بصـوت ملتاع وأنا فى أضغاث أحلامى : « لا بأس ، هناك على أية حال نوع من الراحة ، وعما قريب سأرتاح من كل هذا العناء » . فما كان منه الا أن قال لى : « هل تقصد بذلك الحياة ؟ » فأجبت قائلا ! « نعم ، ما أقصده هو الحياة » فرد على الفور « عندما تكبر فى السن ، لن تتفوه بمثل هذا الكلام الفارغ » . فأفقت من حلمى ، ولم أعاود ترديد مثل هذا الهراء !

وات :

ولكن ، طالما أنك شعرت بالسعادة ، هل جاءك هذا الشعور بناء على ترتيب ، أم كان بمحض المصادفة ؟

رسل :

حسن لم ينتابنى هذا الشعور بناء على ترتيب ، الا فيما يتعلق بعملى ، أما بقية حياتى ، فقد كانت متروكة للظروف والمصادفات ، ولكن الذى لاشك فيه ، أنه فيما يتعلق بعملى الذى كنت أنجزه كما ينبغى ، كانت سعادتى وليدة ترتيب واع •

وات :

هل تعتقد أن ترك السعادة للظروف والمصادفات ، هو الشىء السليم ؟

رسل :

أوه ، أعتقد أن المسألة تتوقف على الحظ بدرجة كبيرة ، وكذلك على الأسلوب الذى يسير به عملك ، لقد مررت بفترة اضطراب ذقت فيها مرارة التعاسة ، وكان ذلك فى فترة لاحقة على فترة المراهقة التى حدثتك عنها ، عندما استغرقتنى تماما احدى المشكلات التى كان لزاما على أن أجد لها حلا قبل أن أمضى فى

عملى ، ولقد ظللت أصارع هذه المشكلة طوال عامين ، دون أن أحرز فى حلها أى تقدم ، وكان ذلك مصدرا من مصادر تعاستى الشديدة .

وات :

ما هى فى رأيك مقومات الشعور بالسعادة ؟

رسل :

حسن ، مقومات السعادة فى رأيى ، يمكن ارجاعهـا الى أربعة مقومات هامة ، ربما كان أولها جميعا الصحة ، يليها بعـد ذلك أن يكون الانسان فى مأمن من العوز ، ثالثها العـلاقات الشخصية السعيدة ، أما رابع هذه المقومات فهو العمل الناجح .

وات :

لا بأس ، ولكن ما الذى يمكن أن يقال عن الصحة ؟ ولماذا تولى الصحة كل هذه الأهمية ؟

رسل :

واضح ، أنه اذا أصيب الانسان ببعض أنواع المرض ، يكون من الصعوبة بمكان أن يشعر بالسعادة ، فبعض أنواع المرض ،

تؤثر في العقل ، وتسبب للانسان شعورا بالتعاسة ، وبعض انواع المرض ، يستطيع الانســـان ان يتحملها ، اما بعضها الاخر ، فيصعب تحمله على الاطلاق .

وات :

هل تعتقد أن الصحة تجعل الانســـان سعيدا ، أم أن السعادة هي التي تجعله صحيحا ؟

رسل :

حسن ، في اعتقادى أن الصحة أساسا هي التي تجعــل الانسان يشعر بالسعادة ، والعكس صحيح الى حد ما ، فالانسان السعيد يكون أقل تعرضا للمرض من الانسان غير السعيد .

وات :

عندما يكون يومك سعيدا ، هل يكون ذلك في صـــباح اليوم الذى نمت فيه جيدا ، أكثر من صباح اليوم الذى لم تنم فيه نوما جيدا ؟

رسل :

أوه ، بالطبع .

وات :

هل لنا الآن أن نتكلم عن المقوم الثانى من مقومات السعادة ، وهو الدخل المادى ؟ ما مدى أهمية هذا الجانب ؟

رسل :

حسن ، فهذا يتوقف على المستوى المعيشى الذى اعتاد عليه الانسان ، فاذا اعتاد الانسان أن يعيش على الكفاف ، لم يكن فى حاجة الى دخل مادى كبير ، أما اذا اعتاد الانسان أن يعيش حياة الرخاء ، فانه يشعر بالتعاسة ما لم يكن دخله المادى كبيرا جدا ، وعلى ذلك ، فالمسألة فى اعتقادى تتوقف على ما اعتاد عليه الانسان .

وات :

ألا يمكن أن يدفعنا ذلك دفعا ، الى نوع من السعى الحثيث وراء المال ؟

رسل :

أوه ، ببساطة شديدة ، وهذا ما يحدث فى أغلب الأحوال ، فكثيرا ما نجد أن أكثر الناس ثراء ، هم من ينتابهم الفزع من أن يموتوا فى بيوت فقيرة ، وهو ما يحدث فى الأغلب .

وات :

ولكن المال الوفير لا يؤدى بالضرورة الى السعادة .

رسل :

آوه ، لا ، لا بالطبع ، فالمال فى اعتقادى يشكل الحد الأدنى من الاحتياج ، ولا ينبغى على الانسان أن يفكر كثيرا فى المال ، والا أصيب بالاضطراب .

وات :

لقد وضعت العلاقات الشخصية فى المرتبة الثالثة من القائمة، هل كنت تقصد بذلك أنها الثالثة فى ترتيب الأولوية ؟

رسل :

أوه ، لا لا ، لأننى على قدر تجربتى ، أستطيع أن أقول أنها المطلب الأول . أو بالأحرى ، هى المقوم الأول من مقومات السعادة بعد مقوم الصحة .

وات :

هل تشرح لنا قليلا ، ما الذى تقصده بذلك ؟

رسل :

تقصد العلاقات الشخصية ؟

وات :

نعـم .

رسل :

أوه ، لا بأس ، كنت أظن أن ما أقصده بالعلاقات الشخصية واضحا كل الوضوح ، فأنا أقصد بالعلاقات الشخصية الصداقة، وأقصد بها الحب ، وأقصد بها علاقات الانسان بأولاده ، فهذه كلها أنواع من العـــلاقات الشخصية الحميمة ، فان لم يكن الانسان سعيدا فى مثل هـــذه العلاقات ، تصبح حياته بالغة الصعوبة .

وات :

والآن ، العمل ، فى أى مستوى من المستويات تضعه ، أعنى أهمية العمل الناجح ؟

رسل :

فى مستوى عال بالتأكيد ، بالنسبة لكل من هم على جانب من الحيوية والنشاط ، فالبعض أكثر كسلا وخمولا ، ولا يعولون على العمل كثيرا ، أما من هم بكامل طاقتهم الحيوية ، فلابد لهم من متنفس لتفريغ هذه الطاقة ، والعمل هو المتنفس الطبيعى ، وبالطبع لا يمكن للعمل أن يضفى عليك السعادة ، ما لم يكن عملا ناجحا . فاذا كان كذلك ، فلاشك أنه كفيل بأن يملأ عليك يومك وأن يضيف اليه السعادة .

وات :

وهل يهم فى ذلك نوع العمل ؟

رسل :

لا ، لا أعتقد أن نوع العمل له أهمية فى ذلك ، فيما عدا الأعمال غير المستقرة أو المحفوفة بالمخاطر • أقصد لو أننى كنت مثلا عضوا فى مكتب سياسى ، فلابد وأن يكون عملى مقلقا بعض الشيء ، ولكن ••

وات :

ربما أمد بعض الناس ممن يحبون هذا النوع من العمل . ببعض الحوافز •

رسل :

بالطبع ، لو أنك أحببت هذا النوع من العمل ، فالأمر بالنسبة لك يكون على ما يرام •

وات :

ولكن ارتفاع مستوى العمل أو قلة مستواه ، هل يهم فى ذلك ؟

رسل :

لا ، بالطبع ، فهذا يتوقف على طبيعة الانسان ، فبعض الناس لا يشعرون بالسـعادة مالم يرتبطوا بانجازات ضخمة ، والبعض الآخر ، يمكنه أن يكتفى بالقليل من الانجـازات حتى يشـعر بالسـعادة الكاملة ، انها مسألة طبع ومزاج ، على أن يكون عمل الانسـان على قدر ما تسمح به طـاقته ، لأن ذلك يساعده على أن ينجز أعمالا ناجحة .

وات :

ما تقوله يبدو كما لو كان يغبط الكسـول على حظه من الكسل ، اذ ينبغى أن يكون راضـيا بما قدر له من قدر ضئيل فى العمل .

رسل :

نعم ، ولكن ينبغى أن يكون سعيدا كل السـعادة ، فهذا على الأقل ما أفدته من تجربتى فى الحياة ، فالسعادة الناتجة عن انجاز عمل ناجح نجاحا حقيقيا ، نتيجة للجهد الشـاق ، انما هى أكبر بكثير ، ولا أظن أن الشخص الكسول قد ذاق طعما لمثل هذه السعادة .

وات :

ماذا يكون تصرفك ، لو قيل لك أنه يمكن أن يتحقق لك قدر أكبر من السرور ، لو أنك كنت أقل قدرا من الذكاء ؟

رسل :

أوه ! لم أكن أقبل بذلك أبدا ، بل كنت فى الواقع أفضل قليلا من السرور ، فى مقابل المزيد من الذكاء ، لا .. لا .. فأنا أحب الذكاء ..

وات :

هل تعتقد أن الفلسفة تضفى السعادة على الانسان ؟

رسل :

نعم ، انهـا تضفى عليه السـعادة ، لو كان من المهتمين بالفلسفة ، ولو كان ناجحا فيها ، وليس العكس ، أعنى لو كان متطفلا عليها ، أعنى لو كان بالنسبة لها مجرد عابر سبيل . فأى عمل يجيده الانسان ، كفيل بأن يضفى عليه الشعور بالسعادة .

وات :

ما هى العوامل التى تحول دون تحقيق السعادة ؟

رسل :

نعم ، هناك عدد كبير من هــذه العوامل ، بالاضـــافة الى نقيض الأشياء التى تحدثنا فيها ، فمن الأشـــياء التى تحول دون تحقيق السعادة ، القلق ، وهو عامل من العوامل التى لها علاقتها بحياتى، فكلما تقدمت بى العمر، شعرت بمزيد من السعادة ، فأنا لم أصادف كثيرا من القلق ، ومع ذلك عرفت كيف أتعــامل معه بطريقة لا تخلو من الفائدة ، وذلك لأننى كنت أفكر فيه على النحو التالى : « والآن ، ما هو أسوأ الأشياء التى يمكن أن تقع لى ؟ » .. ثم أعاود التفكير ، « لا بأس ، انه فى النهاية لن يكون بالغ السوء على امتداد مائة عام منذ الآن ، ومن الجائز ألا تكون له أهمية تذكر » .. والواقع أنك لو تركت نفسك تفكر على هذا النحو ، لن تعانى من القلق كثيرا ، فالقلق انما ينجم عن عدم مواجهة الاحتمالات غير السارة .

وات :

هل تقدر على قهر القلق عن طريق الارادة ؟

رسل :

ليس تماما ، ليس كلية ، ولكن ذلك ممكن الى درجـــة كبيرة .

وات :

وأين تضع الحسد ؟

رسل :

أوه ، الحسد ، نعم ، ياله من مصدر مزعج من مصادر التعاسة ، لعدد كبير من الناس ، وأنا هنا أتذكر الرسام هايدون الذى لم يكن رساما ممتازا ، ولكنه كان يتمنى أن يكون كذلك، لقد دون يومياته ، وفى احدى هذه اليوميات سجل قوله : « لقد قضيت صباحا بائسا ، أقارن فيه نفسى برافائيل » ..

وات :

هل لك أن تعطينا مزيدا من الشرح لهذا الكلام عن الحسد؟

رسل :

الحسد معناه أن عددا كبيرا من الناس ، لديهم ما يكفيهم لكى يصيروا سعداء ، ولكنهم يقلقون أنفسهم لأن اناسا آخرين فيما يبدو ، لديهم ما هو أكثر ، فهم يظنون حسدا ان بعض الناس لديهم سيارة أفضل ، أو حديقة أجمل ، أو أن عملهم يمضى على ما يرام ، وهكذا .. وهكذا الى آخر هذه الأشياء ، فبدلا من أن يستمتعوا بما لديهم مما يمكن الاستمتاع به ، يبددون

هذه المتعة ، بالتفكير فيما قد يكون لدى غيرهم على نحو أوفر ، وهو مالا ينبغى أن يحدث .

وات :

ولكن ، ألا يمكن للحسد أن يكون شيئا نافعا ، بمعنى أن أحدا من النـــاس اذا شـــعر بالحسد تجاه العمل الذى يقوم به شخص آخر ، ظنا منه أن عمل غيره أفضل من عمله ، ألا يكون هذا حافزا له على تجويد عمله ؟

رسل :

نعم ، يمكن أن يحدث هـــذا ، ولكنـــه فى ذات الوقت قد يكون حافزا لاساءة العمل ، وفوق هذا كله فهو يشكل محاولة للتدخل فى عمل الغير ، فثمة طريقان للتفوق على الآخرين ، أولهما أن يتفوق الانســـان على نفســـه ، والآخر أن يضع الغير وراء ظهره .

وات :

والملل .. ما هو فى اعتقادك مدى أهمية الملل ؟

رسل :

فى اعتقادى أن الملل مسألة على جانب كبير من الأهمية ، وانه كذلك بالفعل ، أن الملل مسألة غريزية فى الانسان ، ذلك

لأنني من خلال مراقبتي للقردة فى حديقة الحيوان ، بدت لي كما لو كانت تشعر بالملل ، وان كنت لا أظن أن الحيوانات الأخرى تعانى مثل هذا الشعور ، فهو علامة من علامات ارتفاع درجة الذكاء . ولكنني أعتقد أن الملل ظـاهرة لها أهميتهـا الكبرى ، وتستطيع أن تلاحظ ذلك فى سلوك الهمج ، فعندما يتصلون لأول مرة بغيرهم من المتحضرين ، تراهم يفكرون فورا فى الخمور ، انهم يحتاجون اليها ، بأكثر من حاجتهم الى التوراة أو الانجيل ، أو حتى حبات الخرز الزرقاء ، التى تدرأ العين ، وما حاجتهم الى الخمر ، الا لأنها سرعان ما تزيل عنهم الملل .

وات :

ولكن ، كيف يسـتطيع الانسـان أن يقهر الملل ، وبخاصة الفتيـات ممن حصـلن قدرا طيبا من التعليم ؟ انهن يتزوجن ، ولا يجدن بعد ذلك ما يفعلن ، سوى مراعاة شئون البيت .

رسل :

أجل ، وياله من نظام اجتماعى سيىء ، وفى اعتقادى أنك لاتستطيع أن تغيره دائما بفعل فردى ، ولكن المثال الذى ضربته الآن ، على جانب كبير من الاهمية ، انه يدل على أننا لم نتوصل بعد الى نظام اجتمـاعى أفضل ، لأن كل انسان ينبغى عليه أن يختبر مهاراته ، سـواء أكان ذكرا أم أنثى ، والمرأة الحديثة التى

بلغت درجة عالية من التعليم ، لا تكاد تقدر على عمل شيء ، بعد أن تتزوج ، وهذا أثر من آثار النظام الاجتماعي .

وات :

الى أى مدى يستطيع الانسان أن يكون سعيدا ، اذا أدرك دوافعه الخاصة على انجاز الأعمال ، حتى يستطيع بذلك أن يتحاشى خداع الذات ؟

رسل :

أوه ، فى اعتقادى أن ذلك يساعده الى حد كبير ، فكل انسان يحمل فى داخله قدرا من الكراهية لأحد الأشخاص أو لمجموعة من الأشخاص ، على اعتبار أن هذا الشخص أو هذه المجموعة لا تتصرف وفقا للمثل الأعلى ، وعلى الرغم من أن هذا الشعور بالكراهية ، قد يكون نتيجة التأثر بانطباع ما ، الا أن الواقع قد يخيب هذا الانطباع ، على أن الانسان اذا استطاع أن يتحاشى خداع الذات ، فلا شك أنه سيكون سعيدا .

وات :

وهل تعتقد أن عددا كبيرا من الناس ، انما يكونون تعساء نتيجة لخداع الذات ؟

رسل :

أوه ، نعم ، أعتقد أن ذلك يحدث لعدد كبير من الناس .

وات :

هل تعتقد أن الانسان فى امكانه أن يكون سعيدا فى ظروف محنة ، كأن تكون السجن مثلا ؟ لقد مررت أنت نفسك بهذه التجربة .

رسل :

أوه ، بالطبع ، لقد قضيت وقتا طيبا فى الحبس ، غير أننى كنت فى القسم الأول حيث لم تصادفنى المشاق العادية التى تواجه حياة السجين ، لم تصادفنى على الاطلاق . ولكن ، من الطبيعى أن تكون حياة السجين شديدة الصعوبة بالنسبة لانسان اعتاد على ممارسة العمل الذهنى ، ولكنها أيسر بكثير بالنسبة لمن اعتاد على ممارسة العمل اليدوى ، لأن الانسان لا يستطيع أن يحرم طويلا من ممارسة حياته العقلية .

وات :

هل تعتقد أنه أيسر للانسان أن يشعر بالسعادة حتى داخل السجن ، لو كان ذلك فى اعتقاده من أجل قضية عادلة ، مما لو دخل السجن لأنه يستحقه فعلا ؟

رسل :

أوه ، بالتأكيد ، لو أنهم حكموا على بنفس العقوبة ، لأننى سرقت بعض الملاعق ، لكنت شعرت شعورا كاملا بالتعاسة ، نعم .. نعم .. كان ينتابنى ما استحقه من شعور بالخزى والعار ، ولكننى لما كنت قد دخلت السجن ، لسبب آخر ، فلم أشعر بهذا الشعور على الاطلاق .

وات :

لانها ببساطة كانت مسألة مبدأ ؟

رسل :

نعم .

وات :

هل تعتقد أنه مما يساعد الناس على الشعور بالسعادة ، أن تكون لهم فى الحياة قضية يعيشون بها ولها ؟

رسل :

نعم ، على شريطة أن يحققوا قدرا كبيرا أو ضئيلا من النجاح ، ففى اعتقادى انه لو وجدت مثل هذه القضية ولم يحققوا فيها أى نجاح ، فلن يشعروا بالسعادة ، ولكنهم اذا حققوا قسطا من النجاح ، من حين الى حين ، فان ذلك من شأنه أن يساعدهم

على بلوغ السعادة • وفى رأيى أننا ينبغى أن ننتقل من الموضوع الى موضوع آخر ، وهو موضوع له أهميته فى بلوغ السعادة ، وبخاصة كلما تقدم العمر بالانسان ، فكلما كانت اهتماماتك غير شخصية ، ولها امتدادها الى ما بعد حياتك الخاصة ، كلما قل تفكيرك ، فيما اذا كانت حياتك الخاصة ستنتهى قبل أوانها بزمن طويل ، وفى اعتقادى أن هذا عامل مهم للغاية ، من العوامل التى تساعد على تحقيق السعادة لمن تقدمت بهم العمر •

وات :

وماذا تقول فى الفكرة الشـائعة لدى الناس ، عن ضرورة حرصهم على أن يعيشوا حياة سعيدة ، تمتد الى أطول مدى ؟

رسل :

أوه ، بالنسبة لكيف يعيش الانسان أطول مدى ، فهذه مسألة طبية وليست مسألة من المسائل التى ينبغى أن أعبر فيها عن رأيى ، ولقد قرأت كثيرا من المصنفات الطبية التى تدافع عن هذه الوجهة من وجهات النظر ، لقد قالوا لى ، لو أننى تناولت عقاقيرهم الطبية لعاد شعر رأسى أسود كما كان ، ولست متأكدا من ضرورة أن أرحب بذلك ، لأننى أجد أنه كلما زاد شعر رأسى بياضا ، كلما كان الناس أكثر استعدادا لتصديق ما أقول •

المحاورة السابعة

القومية

وودرو وات :

هل تعتقد بالورد رسل أن القومية شيء نافع أم هي شيء ضار ؟

لورد رسل :

ينبغي علينا أن نميز أولا بين الأوجه الثقافية والأوجه السياسية لموضوع القومية ، فمن وجهة النظر الثقافية ، نجد أنه من الأشياء المؤسفة جدا فى العالم الحديث ، تماثله بصورة غير عادية، فلو أنك نزلت بفندق سياحى من فنادق الدرجة الأولى ، لن تتعرف فيه على أى ملمح من الملامح التى تدلك على انتمائه لأى

قارة من القارات ، أو لأى جزء من أجزاء العالم ، فكل هذه الفنادق متشابهة بعضها مع البعض الآخر ، فى جميع أرجاء العالم ، مما يضفى عليك شعورا بالملالة والضيق ، ويحيل رحلتك الثرية الى عمل شاق لا يستحق العناء ، وذلك على العكس تماما مما لو قمت برحلة متواضعة ، لا شىء فيها من مظاهر الترف أو الثراء ، هنا تستطيع أن تتعرف على البــلاد الأجنبية ، وفى هذه الحالة فقط يكون لدينا الكثير مما يمكن أن يقال حول موضوع القومية ، حول أوجه التميز والاختلاف سواء فى الأدب ، أو فى الفن ، أو فى اللغة ، أو فى كل مظهر من مظاهر الثقافة . أما اذا عدنا ونظرنا الى موضوع القومية من وجهة النظر السياسية، فانها تصبح شرا وبيلا فلست أعتقد أننا نستطيع أن نجد فى مدحها شيئا واحدا .

وات :

حسنا ، ولكن ، ألست تتحدث عن الغايات ، والغايات الأساسية، من اقامة نظام الدولة القومية ؟

رسل :

لا بأس ، فهذه الغــايات الأســاسية هى ما تسميه الدولة لنفســها بوســائل « الدفاع » ، وما تسميه كل الدول الأخرى

بأسباب « العدوان » فالظـاهرة هى الظـاهرة ، ولكنها تتسمى بأسـماء مختلفة من كلا الجانبين • والواقع أن الدولة ما هى فى المقام الأول سوى هيئة تعمل على ابادة الغريب الأجنبى ، وهو ما تجعله غايتها الاساسية ، وهناك بطبيعة الحال ، غايات أخرى تعمل الدولة على تحقيقها ، منها نشر التعليم ، ولكنها تحرص حرصا بالغا فى مناهجها التعليمية ، على أن تجعل النشء يتصور أن ابادة الأجانب عمل عظيم • ولكى أوضح لك ما أقصده ، خذ على سبيل المثال ، هذا المقطع الشعرى من النشيد القومى ، الذى لا يؤديه النشء فى الأعم الأغلب بالصورة التى كان يؤدى بها فى أيام صباى ، حيث يقولون : « ادحض لهم حيلهم الماكرة ، وأحبط لهم سياستهم القاصرة ، ودعهم يتساقطون » لقد اعتدنا أن ننشد ذلك جميعا بحماس بالغ فى وجه كل غريب أجنبى •

وات :

مثل نشيد « دستور » بريطانيا ! ؟

رسل :

نعم ، ومثل نشيد « بريطانيا » أيضا ، ولكن الآن بعد أن أمسكت بريطانيا عن حكم البحار ، لا نستطيع أن نهتف بنفس الحماس «دستور الويالات المتحدة •• الولايات المتحدة تحكم

البحار » لأن الوزن لا يستقيم ، ولذلك أسقطنا من حسابنا الموضوع كله .

وات :

هل هذا هو نوع الضرر الذى تقصده ، والذى يعود علينا من القومية ؟.

رسل :

ما أقصده بالضرر الذى يعود علينا من القومية ، هو ما تخصصه فى جانبها التعليمى من غرس الفكرة القائلة بأن بلدى هى أعظم البلاد ، وأنها دائما على حق فى كل شىء ، فى حين أن البلاد الأخرى ، تماما كما يقول مستر بورسناب فى احدى روايات ديكنز : « لو كنت فى بلد أجنبى ، فعليك للأسف الشديد ، أن تفعل كما يفعلون » .

ولست أظن أنه من الصواب أن ننظر الى البلاد الأجنبية مثل هذه النظرة ، ويستطيع الانسان أن يصادف أمثلة غريبة من هذا القبيل ، لقد ألفت كتابا ، تكلمت فيه عن موضوع القومية هذا ، وقلت فيه : « هناك بطبيعة الحال ، أمة واحدة دون سائر الأمم ، تتمتع بكل الفضائل العليا التى تتمناها لنفسها أية أمة أخرى ، هذه الأمة هى الأمة التى ينتمى اليها قارئى » . وتلقيت خطابا

من احد البولنديين ، يقول فيه : « كم أنا ســعيد لأنك ذكرت الفضائل السامية التى تتوافر فى بولندا » ..

وات :

نعم ، هذا صحيح ، ولكن ما هى الأشياء الأخرى التى تنشأ عن موضوع القومية ، أقصد ، هل تستطيع أن تعطينا عنها مزيدا من الأمثلة ؟

رسل :

نعم ، قابلت فى الولايات المتحدة فتــاة شــابة على درجة كبيرة من الجمال ، وكانت مولعة بركوب الدراجات ، وكانت قادمة على دراجتها من أكوادور ، فجنحت بها الدراجة جنوحا شديدا الى سفح التلال ، وكان من الممكن بسهولة أن تلقى مصرعها ، وكان معى صديقى جيلبرت مورى ، فسألها ، « ألم ينتــابك الخوف عندما جنحت بك الدراجة هذا الجنوح الشديد ؟ » . فما كان منها الا أن ردت عليه : « أوه ، لا ، لقد قلت فى نفسى تذكرى جيدا أنك فتاة من أكوادور ! .. »

وات :

ولكن هذا بالطبع ، يمكن أن يحدث لأى انسان ..

رسل :

نعم ، كنت كلما رويت هذه القصة لأى انسان ، أجده ينفجر ضاحكا ، وهذا مما يجعلنى أقول : « اننى لو رويت القصة على انها حدثت لفتـاة أخرى ، فى بلد آخر ، لمـا ضحك أحد على الاطلاق » ..

وات :

هذا صحيح ، ولكن ، لماذا يرغب الناس فى أن يقسموا الى دول قومية ؟

رسل :

ان هذا بطبيعة الحال ، جانب من طبيعتنا الانفعالية ، أن يكون لدينا الاستعداد لأن نحب ونكره ، ونحن من جانبنا نميل الى ممارسة انفعالات الحب والكراهية ، فنحب مواطنينا ، ونكره الغرباء ، ونحن بالطبع لا نحب مواطنينا الا حينما نفكر فى الغرباء، أما حينمـا نكف عن التفكير فى الغرباء ، فنحن لا نتوجـه الى مواطنينا بكل هذا الحب .

وات :

وماذا يمكنك أن تفعل حيال ذلك ؟ انك تقول أن القومية فيها قدر ما من الصواب والمعقولية ، فكيف يمكنك أن تتأكد من أن هذا القدر لن يتجاوز حدوده ؟

رسل :

حسن ، وفى تقديرى أنك لن تستطيع ، لن تستطيع أبدا أن تتأكد من مثل هذه الأمور ، ولكن الذى تستطيع أن تقوله ، والذى لابد للعالم كله من أن يقوله ، هو أنه اذا قدر للانسان أن يبقى على قيد الحياة ، فلابد للجيوش ، والأساطيل البحرية ، وكافة القوات الجوية ، أن تتحول من القومية لكى تصبح عالمية ، حينئذ لن يضنيك التفكير طويلا فيما اذا كانت احدى الدول ، ستتخذ لنفسها الاحتياطات الوقائية خوفا من أن تعلن عليها الحرب فى يوم من الأيام .

وات :

ولكنى أقصد بكلامى شيئا آخر ، أقصد أن الانسان فى بعض الأحيان ينتابه الشعور بأنه انما يفعل شيئا لبلده ، كأن يتسلق مثلا قمة جبل افرست ، أو كأن يتوصل الى اختراع جهاز يطير الى ما بعد الفضاء الخارجى ، ألا تعتقد أنه فى هذه الحالة يكون أكثر حماسة وحيوية ، مما لو كان يفعل ذلك من أجل هدف عالمى غامض ؟

رسل :

نعم ، هذا صحيح ، صحيح أن الناس يحبون الباعث الأضيق أفقا ، ولكنى أعتقد أن هناك وسائل عديدة للحيلولة دون ذلك ، خذ مثلا الحملة التي أرسلت لتسلق قمة جبل افرست ، انها لم تكن فحسب بلدا بعينه الذي أرسل هذه الحملة ، وانما كانت بالاضافة الي ذلك ، هيئة ما ، أو جماعة من الأفراد بالغي الثراء . أو شيء من هذا القبيل ، ويستطيع الانسان أن يفعل ما يفعله من أجل مجد هؤلاء ، في الوقت الذي يكون فعله من أجل مجد بلاده .

وات :

ولكن ، لنفترض أن الأمر انطوى على نوع من أنواع التنافس ، أو على باعث من بواعث المنافسة ، هل تعتقد أن الدولة يمكن أن تكون هى الوسيلة الملائمة لذلك ؟

رسل :

نعم ، فأنا لا أهتم على الاطلاق بأنواع التنافس أو المنافسة التي تنطوي على أفعال القتل ، أما أنواع التنافس الداخلية

أو المحلية ، فأنا أوافق عليها كل الموافقة ، فلو أن احدى المدن قامت ببناء دار فاخرة للبلدية ، وفكرت احدى المدن الأخرى قائلة : « ينبغى أن تكون لدينا دار فاخرة للبلدية » . حسن ، فمثل هذا النوع من أنواع المنافسة هو الذى يعود بالخير ، فنحن نعرف على سبيل المثال أن مدينتى مانشستر وليفربول لا تحب احداهما الأخرى ، ولكن واحدة لم تفكر فى أن يكون لها جيشها الخاص الذى تشن به الحرب على المدينة الأخرى .

وات :

لا بأس ، والآن كيف يمكنك أن تضع نظاما يحمى المجتمع وبخاصة فى أوقات الخطر أو الأزمات أو التوترات ، اذا لم نؤمن بالشعار القائل : « بلادى ، خطأ كانت أم صواب ! »

رسل :

حسن ، لو أننا تحدثنا الآن عما ينبغى أن يكون فى مثل هذه الحالات ، لرددت رأيى الذى سبق أن أعلنته من قبل ، وهو أن تكون هناك قوة مسلحة واحدة ، وأن تكون هذه القوة عالمية وليست محلية ، وفى هذه الحالة ، فان مثل هذه الحالات الخطرة التى تحدثت عنها ، لن تنشأ على الاطلاق ، لأنها لن تجد أمامها الفرصة المواتية من ناحية العدوان الداخلى ، وبالتالى لن يحتاج هذا العدوان لأى نوع من أنواع الدفاع المحلى .

وات :

ولكن العدوان قد ينشب فورا وفى الحال ؟

رسل :

نعم ، العدوان قد ينشب فورا وفى الحال ، ولذا كان لزاما علينا أن نضع فى أدمغة الناس أنهم فى الوقت الذى يشعرون فيه بواجبهم فى مقاومة العدوان ، لا ينبغى أن يكون لديهم أى شعور بحقهم فى شن العدوان ، لأنه اذا لم يشارك أحد فى شن العدوان ، فلن تكون هناك أية فرصة أو أى داع لمقاومة العدوان .. وان كنت أعتقد أن مقاومة العدوان هو الشىء الذى من واجبنا جميعا أن نشارك فيه .

وات :

لنأخذ الشرق الأوسط على سبيل المثال ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة ، والقومية العربية ترفع مجموعة من الشعارات الجديدة ، فضلا عما أعطتهم من ثقة فى النفس ، وشعور بامكان ازدياد حجم العرب ، مما يجعلنا نعاود السؤال عما اذا كانت القومية فى مثل هذه الحالة ضارة أم نافعة ؟

رسل :

الواقع أن الاجابة تصبح من الصعوبة بمكان فى مثل هذه الحالة ، وفى اعتقادى أنه اذا كان من شأن هذه القومية أن توقظ

الشعور باحترام الذات لدى العرب ، وتجعلهم يشعرون بالقدرة على تحقيق انجازات كبرى ، فالقومية فى كل هـذه الحالات تكون مفيدة ونافعـة ، ولكنها اذا انطوت على الحـاق الأذى بالشعوب الاخرى غير العربية ، فلا يمكن النظر اليها نفس النظرة .

وات :

مالا أستطيع أن أفهمه ، هو كيف يستطيع الانسان أن يضع حدودا لشعوره القومى ، بحيث يتمكن من ايقاظ هذا الشعور فى نفسه عندما يدعو الأمر الى ذلك ، وبحيث يتمكن فى ذات الوقت من ألا يتجاوز هذه الحدود ، فى ظروف أخرى ؟

رسل :

ببساطة، عن طريق توحيد الحكومات، خذ مثلا حالة كل من انجلترا واسكتلاندا ، لقد دخلت كل منهما فى حرب مع الأخرى ، واستمرت هذه الحرب عدة قرون ، عدة قرون والحرب دائرة بين الاثنتين ، حتى غدا من المألوف عالميا أن يكره الشعب الواقف على حدود احدى البلدتين ، الشعب الواقف على حدود البلد الأخرى ، ومن خـلال حادثة بسيطة وقعت للسلالة الحاكمة فى البلدتين ، توحدت الحكومتان ، وزالت أسباب الكراهية .

وات :

تقصد بهذه الحادثة ، أنه قد أصبح للبلدين ملكا واحدا ؟

رسل :

نعم ..

وات :

ولو على سبيل الخطأ ؟

رسل :

نعم ..

وات :

الى أى مدى ترى أن التعصب العنصرى له علاقته بموضوع القومية ؟

رسل :

حسن ، فهذا أمر وارد بطبيعة الحال ، أقصد أنه وارد فى حالة ما اذا كان هناك تمييز عنصرى بين أمتين متجاورتين ، هنا يتدخل التعصب العنصرى ويزيد من حدة الشعور بالقومية لدى

كل منهما ، ولو أن التعصب العنصرى ليس نفس الشىء ، أعنى أنه ليس بعينه القومية ، ولكن ما أيسر أن يكون حليفا لها .

وات :

وهل تقول أن التعصب العنصرى قد تزايد تزايدا كبيرا على امتداد الخمسين سنة الماضية ؟

رسل :

نعم ، أظن هذا ، وان كنت لست واثقا منه كل الثقة ... فأنا ... أنا لا أعرف .. واليك على سبيل المثال رديارد كبلنج ، الذى بذل مجهودا كبيرا فى الدعوة الى الاستعمار البريطانى ، فطالما تكلم عن « السلالات الأدنى التى لا قبل لها بالقانون » ، وطالما كرس كتاباته كلها حول موضوع بالذات، هو أن كل من لم يكن أبيض ، أو بالأحرى كل من لم يكن بريطانيا ، فهو فى مرتبة أدنى بشكل أو بآخر . وعلى ذلك فلست أظن أن مثل هـذا الكلام مما يمكن قبوله فى وقتنا الحديث .

وات :

نحن نعلم جميعا مدى المعـاناة التى تعانيها كل من أمريكا وأوربا من جراء التعصب العنصرى ، هل تعتقد أن آسيا وأفريقيا

تعانيان من نفس الموضوع ، موضوع التعصب العنصرى ، ولكن بدرجة أقل ؟

رسل :

ليس بدرجة أقل ، وربما كانوا فى الواقع يعـانونه بدرجة أكبر فى الوقت الحاضر ، نظرا لحداثة الموضوع بالنسبة لكل من الأفريقيين والأسـيويين ، وفى اعتقـادى أن كلا من القوميـة الأفريقية والقومية الأسيوية قد أصبحت فى الوقت الراهن أكثر ضراوة ، من تلك التى نشـأت بين الأوربيين ، لأنهم لا يـزالون حديثى عهد بهـا ، وهذا فى نظرى هو الخطر .. كل الخطر . فالقومية كما قلت ، اذا نظرنا اليها بصرف النظر عن التوتر القائم بين الشرق والغرب ، وعن خطر الحرب المحتملة بين كل منهما ، هى بعينها الخطر الأكبر الذى يواجهه الانسان فى عصرنا الحاضر .

وات :

ألا ترى أن بعض الشـعوب تعتقد أنه اذا ما عوملت بعض الدول معـاملة سيئة ، فانها تكون مسئولة عنها باعتبارها أكثر امتيازا وتميزا ؟ حتى ولو كان شـعورها بهذا التميز والامتياز أكبر بكثير من حجمها الحقيقى ؟

رسل :

أوه ، هذا صحيح بالتأكيد ، وهو نمط ثابت من الأنماط التى تحتذيها الدول ، عندما تقع دولة أو طبقة أو أيما شىء آخر تحت طائلة قمع غير مشروع ، فان الشعوب ذات الشعور الانسانى النبيل ، تفكر على الفور فى ضرورة ممارستها لفضيلتها الكاملة فى الوقوف الى جوار هؤلاء المظلومين ، حتى يعيدوا الى نفوسهم البهجة والسرور ، وحتى يحصلوا على حريتهم فى نهاية الأمر ، وما أن يحصلوا على هذه الحرية حتى يبدءوا فى تكريس أنفسهم بكل طاقتهم وبقدر ما تسمح لهم به قدراتهم ، لممارسة كل الرذائل التى كانت ترتكب فى حقهم من قبل •

وات :

أليس هذا نمط محتوم يتعذر اجتنابه ؟

رسل :

لا •• لا •• ليس نمطـا محتوما ، ولا يقع باسـتمرار ، وأعتقد •• أننا نسـتطيع أن نأخذ الهند كمثال يدل على عدم وقوع هذا النمط باستمرار • فالهند بعد أن حصلت على حريتها واستقلالها ، عاشت بشكل استثنائى وفريد ، دون أن تمارس هذه الرذيلة التى غالبـا ما تمارسها الشـعوب الحاصلة على الحرية والاستقلال •

وات :

لماذا تعتقد أن النزعة القومية فى الوقت الحاضر ، أصبحت أكثر خطورة مما كانت عليه من قبل ؟

رسل :

اوه ، لأن ذلك يرجع الى التعليم ، لقد عاد علينـا التعليم بالكثير .. والكثير جدا من الأضرار ، حتى لقد تصورت فى بعض الأحيان أنه كان ربما كان من الأفضـل أن يظل الناس الى الآن غير قادرين على القراءة أو الكتابة . فالسواد الأعظم من الناس عندما يتعلمون القراءة والكتابة ، يصبحون مهيئين لقبول كافة ألوان الدعاية ، والدعاية فى كل دولة من الدول خاضعة لرقابة الدولة ، ولا توجه الا حسبما تشاء الدولة ، وما تريده الدولة هو أن يكون المواطن على أهبة الاستعداد ، لأن يورد نفسـه موارد التهلكة لدى تلقيه أول اشارة .

وات :

لقد كنت تقول منذ قليل ، ان القومية ربما كانت فى اعتقادك، من أكثر الأمور ضررا فى العالم ، فهل تقصد بذلك أنها ربما كانت أشد خطرا من الشيوعية ؟

رسل :

حسن ، لست أعتقد أن القومية أشد خطرا من التوتر القائم بين الشرق والغرب ، فهذا في اعتقـادى هو الخطر الأكبر الذى يتهدد العالم • ولكنى ارى أنه لو زال التوتر الحاصل بين الشرق والغرب ، وهو ما ينبغى أن يحدث ، فان القومية يمكنها أن تهدد الجنس البشرى ، بأكثر مما يهدده الانتشار السلمى للشيوعيه •

وات :

ألا يوجد هناك حل لمشـكلة القومية ، بعيدا عن الغـزو الوشيك الوقوع ، الذى يمكن أن يشنه علينا اله الحرب ؟

رسل :

حسن ، فهذا بطبيعة الحال من شأنه أن يقضى على المشكلة فورا ، وعلينا فى هذه الحالة أن نبحث لأنفسـنا عن قومية عالمية تحمى كوكبنـا الأرضى ، من أى عدوان تشـنه علينا الكواكب الأخرى • وعلينـا أن نعلم أولادنا فى المدارس كم كان كوكبنا الأرضى دائما أبدا أكثر نبلا وسموا من غزاة المريخ الحقراء ، الذين لا ينبغى علينا أن نتعلم منهم شيئا ، وهذا معناه أننا فوق كوكبنا الأرضى لا يجب أن نرتكب أية خطيئة ، وهذا فى اعتقادى يمكن أن يكون الحـل البسيط لمشـكلة القومية ، وان كنت

أخشى ألا نكون قادرين على حـل المشـكلة بهذه الطريقة ، لذا لا نجد أمامنا سوى تعليق الآمال على ألا يضـع الناس نصب أعينهم غير الأهداف الايجـابية ، الأهداف التى من شأنها أن تحقق الرخاء لأمتهم وللأمم الأخرى ، وان يفضلوا تلك الأهداف على غيرها من الأهداف السـلبية التى تجر علينـا شتى ألوان النزاع •

المحاورة الثامنة

بريطانيا العظمى

ودرو وات :

هل تعتقد يالورد رسل أننا فى بريطانيا العظمى قد اقتربنا من الصواب فى مزجنا بين الرأسمالية والاشتراكية ؟

لورد رسل :

نعم ، هـذا ما أعتقد فيـه ، وفى رأيى أننا قد حققنا المزج الصحيح فيما بينهما فى الوقت الحاضر . ولكننى لا أستطيع القول بأن هذا المزيج سيكون هو الصواب الى الأبد ، ذلك لأن الظروف فى تغير مسـتمر . ولقد كنت أرى لزمن طويل ، ولازلت أرى الآن، أن أى نظام من النظم الاقتصادية اذا وصل بسرعة الى مرحلة

الاحتكار ، يكون من الأفضل أن تتولاه الدولة ، بدلا من أن يخضع للمشروعات الخاصة ، وهـذا الى حد ما هو ما حققناه الآن فى انجلترا •

وات :

وهل تعتقد أن هذا النظام من الممكن أن يكون عادلا بوجه عام ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أنه عادل بمقدار ما يحسـن تطبيقه ، صحيح أنه ليس العدل الكامل ، ولكنه العدل الذى لابديل له •

وات :

وهل ما تقوله هذا يمثل الفضـائل الرئيسـية فى المجتمع البريطانى ؟!

رسل :

حسن ، ينبغى أن نضع فى اعتبارنا أولا وفى المقام الأول ، نوعا بعينه من أنواع الفضـائل الحميدة ، لا أقول فى تعاملاتنا مع الشعوب الأخرى غير البريطانية ، فهذا موضوع آخر ، ولكننا فى تعاملاتنا الداخلية ، نرى أن البريطانيين أكثر ودا وتعاطفا من أغلب الشعوب التى قمت بزيارتها •

وات :

هل يمكنك أن تستطرد قليلا فى شرح هذا الرأى ؟

رسل :

نعم ، ولا مانع عندى ، فأنا لا أظن أن الشعب البريطانى لديه تلك المعتقدات الجـامدة ، التى نجدها شائعة فى دول أخرى ، ومرجع ذلك فى رأيى الى حد ما ، أننـا لم تتعرض لأى غـزو خارجى منذ عام ١٠٦٦ ، وبالتالى لم نجد فى تاريخنا أى سبب من الأسباب التى تدعو الى أنواع الوحشية التى وجدناها فى أغلب البلاد .

وات :

هل تعتقد أن الشعب البريطانى أفضل من أكثر الشعوب الأخرى ، من حيث اهتدائه الى نظام جيد لتحقيق العدالة ؟

رسل :

حسن ، ولكنى لا أعرف بالضبط ماذا تعنى بكلمة العدالة، هل تعنى عدالة القانون ، أم العدالة الاقتصادية ؟

وات :

لا بأس ، فأنا أعنى بها الاثنين .

رسل :

أعتقد أنه من الصعوبة بمكان تحقيق العدالة الاقتصادية الكاملة ، وربما كان تحقيقها مطلبا بعيد المنال ، ولو أننى أرى أننا قد اقتربنا منها على النحو الذى كنا نأمله ونتمناه ، ولا شك أننا اقتربنا منها أكثر بكثير من الدول الشيوعية ، التى لا تزال المسافة فيها بين الأغنياء والفقراء ، أكبر مما هى عندنا الآن .

وات :

ماذا عن العدالة القانونية ، وعدالة التعامل ؟

رسل :

لا بأس ، ولو أننى لا أظن أننا قد بلغنا فيها حد الكمال ، ولا أظن أنه قد تحقق فى أية دولة أخرى ، ولو أننا فى ذلك أفضل من غيرنا بكثير .

وات :

وماذا عن رغبتنا الجامحة فى التباهى بالعظمة ؟

رسل :

أظن أنها ربما كانت فضيلتنا الكبرى ، ولو أنها لم تكن لدينا على الدوام ، لقد افتقدناها فى القرن السابع عشر ، حينما

عانينا الكثير من المتاعب والاضطرابات • غير أننا صممنا فى عام ١٦٨٨ على التخلص من مثل هـذه المتاعب والاضطرابات ، التى لا قبل لنا بها ولا بالمزيد منها ، وعلى ذلك اتهجنا سياسة التسوية أو الحلول الوسط ، التى حققت نجاحا الى أقصى حد ، خذ مثلا الثـورة الفرنسـية ، عندما نشـبت هـذه الثـورة ، واجهت الارستقراطية الفرنسية هذا السؤال : « هل تفضلون التنازل عن امتيازاتكم ، أم تفضـلون قطع رؤوسكم ؟ » • وكانت الاجابة « قطع رؤوسنا •• بطبيعة الحال !» • وبالفعل تم لهم ما أرادوا• أمـا فى انجلترا ، فى عام ١٨٣٢ ، عندما قامت حركة الاصـلاح تبنى مجلس العموم قضية تنازل الارستقراطية عن امتيازاتها ، وجدى نفسه الذى كان شديد النزعة الأرستقراطية ، شارك فى حركة الاصلاح •

وات :

جدك •• اللورد جون رسل ؟

رسل :

نعم ، وربمـا يرجع اليه الفضل فى أن رأسى لا تزال فوق كتفى الى الآن •

وات :

وكيف أدى ذلك الى اختلاف الجزر البريطـانية عن القارة الأوربية ؟

رسل :

القارة الأوربية أكثر صرامة بكثير ، وعليك أن تختار بين هذا وذاك ، ولا يمكنك أن تحقق التكيف الملائم بين الاثنين ، وأستطيع أن أسوق لك مثالا على ذلك من الفلسـفة . في وقت ما ، كنت أعيش في برستون بأمريكا ، حيث كان يعيش أينشتين، وكنت قد اعتدت أن أزوره مرة كل أسبوع ، فألتقى به في بيته، وأقابل آخرين من أبرز المثقفين الألمان ، وكانوا جميعا من اليهود المنفيين خارج ألمانيا ، الذين يشعرون بالعداء المرير نحو الحكم النازى ، ويدينون بكل ما تحبه من الليبرالية . وعلى ذلك اعتدنا مناقشة مشكلات الفلسفة الأساسية ، والرغبة تحدونا في الاتفاق على حل هذه المشكلات ، دون أن ينشأ لدى أحد منا أى شعور بالعداء . ولكن هوة الخلاف بيننا سرعان ما كانت تنشـأ ، اذا ما تناولنا الأساسيات ، وعبثا نحاول عبور هذه الهوة . أما هم ، فكانوا يتمسكون بنوع بعينه من المثالية الصوفية ، في الوقت الذى كنت متمسكا فيه بالتجريبية الصارمة ، ولم نسـتطع أن نلتقى أبدا .

وات :

هل يمكنك أن تعتبر نفسك جزءا من التراث البريطانى ؟

رسل :

أوه ، هذا كثير جدا ، فالتراث البريطانى كما تعلم ، ينحدر أصلا من لوك فهو الذى صبغ بفكره ، جانبا من تفكير الفلاسفة الثلاثة الكبار فى الفلسفة البريطانية ، فعلى أيام شبابى ، كانت المثالية الألمانية تجتاح الجامعات البريطانية ، ولكن الألمان عندما غزوا بلجيكا ، كان قد ثبت للجميع سوء الفلسفة الألمانية ، وعلى ذلك شببت عن الطوق ، وأنا رافض للفلسفة الألمانية بأى حال من الأحوال .

وات :

وهل تشعر فى قرارة نفسك بأنك بريطانى ؟

رسل :

بالتأكيد ، وبأننى جزء من التراث البريطانى .

وات :

هل تعتقد أن هذا التراث قام بدور كبير فى جعل الطبيعة البريطانية تشعر باكتفائها الذاتى بشكل متوازن ومعقول ؟

رسل :

نعم ، أظن هذا ، أظن أننـا نحب التراث مالم يسـبب لنا ضررا بليغا ، خذ على سبيل المثال ، مسألة اطـلاق الأسماء على الشـوارع ، فى كل بلد من بلدان القـارة التى أعرفها ، تراهم يغيرون أسـماء الشـوارع من حين لآخر ، كلما تغير القـادة السياسيون ، وحتى الرجال العظام الذين اعتادوا على تمجيدهم ، لا يثبتون على تمجيدهم طـويلا ، فلو كان شأننا شأن بلدان القارة الأوربية ، لأطحنا بنصب الدوق يورك ، لمجرد أننا لم نعد نمجد الدوق يورك ..

وات :

ما هى الجوانب الأخرى التى تجـول بخـاطرك ، ونحن بصدد الحديث عن التراث ؟

رسل :

بالطبع ، كل أساليب الحياة التى نسير عليها ، الأسـلوب الذى يتبعه الناس فى ساحات القضاء ، والأسلوب الذى يتبعونه فى الادلاء بأصـواتهم لاختيار نوابهم فى مجلس العموم ، وكل أساليب الحياة الأخرى ، التى تنحدر من التراث ، والتى يحبها أغلب أفراد الشعب الانجليزى ، ولا يرغبون فى محوها أو القضاء عليها .

وات :

وما رأيك فى المجلس الخاص ، باعتبارك واحدا من أعضائه، وأعنى به مجلس الشيوخ أو مجلس اللوردات ؟

رسل :

أجـل ، مجلس اللوردات ، وهو بالفعل مجلس خـاص ، ولا أدرى ان كنت أستطيع حقا أن أدافع عنه، نظرا لغرابة أطواره، وان كنت أرجح أننى استمتع به على أية حال .

وات :

وماذا عن رأيك فى الملكية ، هل ترى أنها تقوم بدور كبير ؟

رسل :

نعم ، أنا فى صف الملكية تماما ، واذا لم تكن موافقا على الملكية ، كان لزاما عليك أن تبحث عن رئيس للجمهورية ، وانها لمهمة شـاقة أن تختار رئيسا للجمهورية . وعلى أية حال ، فان الناس لن يستمروا على حبه ، نصف الشعب ، أو حوالى النصف، لن يحبوه طوال الوقت . أما فى حالة الملك ، ففى مقدورنا جميعا أن نحبه ، وهذا أفضل بكثير ، وهو ما أفضله شخصيا ، أكثر من أى شىء آخر .

وات :

هل ظللت على احترامك الدائم للملكية ؟

رسل :

أوه ، بالطبع ، لقد شعرت نحوها بهذا الاحترام ، فى مرحلة باكرة من عمرى ، فعندما كنت فى الثانية من عمرى ، زارتنا الملكة فيكتوريا ، ويومها علت أسرتى الدهشة ، لشعورى نحوها بكل هذا الاحترام •

وات :

وماذا عن التاريخ ؟ هل تعتقد أن الوعى بالتاريخ فى بريطانيا ، مرجعه الى نظام الحكم الملكى ؟

رسل :

لا بأس ، وان كنت لا أدرى الى أى حد يرجع الوعى بالتاريخ الى نظام الحكم الملكى ، ذلك لأن هذا الوعى كان موجودا سلفا لدى أولئك الذين ناصبوا الملكية العداء ، ولقد قرأت فيما مضى ، الكثير من الأدب الذى ظهر فى فترة الحرب الأهلية البريطانية ، والذى يعزى ظهوره الى الارستقراطيين من النورمانديين الأجانب ، ومع ذلك لمست فيهم وعيا حادا بالتاريخ على الرغم من أنهم كانوا من الثوريين •

وات :

هل من الضرورى فى رأيك ، أن يكون لدى المواطن وعى بالتاريخ ؟

رسل :

نعم ، ان وعى المواطن بالتاريخ مسألة بالغة الأهمية ، أنه يعطيه عمقا وثقة سواء فى الشعور أو فى التفكير .

وات :

وهل تعتقد أننا نتمتع بذلك ؟

رسل :

بالطبع ، أننا فى انجلترا نتمتع به كثيرا ؛ وليس من شك فى أن وجود البنايات القديمة يذكى هذا الوعى ، كوجود أطلال الرومان وكل ما شاكل ذلك . ان لدينا الكثير مما يذكى الوعى بالتاريخ فى هذا البلد ، وهو ما يجعلنى أشعر بالغبطة والسرور.

وات :

هل توافقنى الرأى ، على أن بريطانيا تعتبر من أكثر بلاد العالم غطرسة وشعورا بالعظمة ؟

رسل :

أوه ، بالطبع ، ولو أن ذلك ليس صحيحا على الاطلاق ، فلقد رأيت من البلاد ما هى أكثر منا شعورا بالغطرسة والعظمة، وبخاصة فى العالم الغربى ، حيث يمتد هذا الشعور الى داخل البيت . وعلى أية حال ، فهناك قدر كبير من هـذا الشعور فى هذا البلد ، قدر كبير جدا .

وات :

وهل ترى فى ذلك شيئا من الضرر ؟

رسل :

نعم ، فيه شىء من الضرر ، أو بالأحرى فيه من النفع بقدر ما فيه من الضرر ، أقصد أنه طالما كان الشعب الذى يشـعر بالعظمة أفضل مما هو عليه فلا ضرر فى ذلك ، فان كان شعوره بالعظمة مجرد شعور تقليدى ، ففى ذلك ضرر .. أى ضرر .

وات :

هل يمكنك أن تضرب لى مثلا لما تقصده من الشـعور بالعظمة ؟

رسل :

انني أذكر زميلا قديما من زملائي في جامعة كيمبردج ، كان يدعى أوسكار براونتج ، وكان ممن تنطبق عليهم صفة الغطرسة ، وذات يوم زارتنا الامبراطورة فريدريك في الجامعة ، وأبديت أسفي لعدم رؤيتها لزميل آخر من زملاء الكلية ممن كانت تحبه كثيرا لو أنها رأته ، هذا في الوقت الذي كان أوسكار براوتنج فيه يتجول طوال اليوم فوق صهوة جواده ، حول الجامعة ، وعندما قابلته أخيرا في المساء ، وكان مجهدا للغاية ، اذا به يقول: « لقد كنت أطارد الامبراطورة طوال اليوم ! » .

وات :

أذكر أنك حدثتني يوما عن رجل يدعى كيف ؟

رسل :

أوه ، أجل ، انه مثال من أمثلة المتغطرسين ؛ لقد كانت أسرتي تعيش في « يشموند بارك » وهو الحي الذي نشأت فيه ، وكان يسكن هذا الحي رجل يدعى كيف ، وكان من أهالي ريشموند البارزين ، حتى لقد ذهب بعض أهالي الحي الى القول بأنه جدير بالحصول على نوط الفروسية ، وبالفعل أجمعوا على تقديم التماس يطالبون فيه بحصوله على هذا النوط ،

وجاءوا الي جدتي ، أرملة رئيس الوزراء ، فما كان منها الا ان قالت لهم : « أوه ، لا ، هذا من اختصاص الملكة » • وعلي ذلك لم تستطع الاقتناع بوجـــوب تأثيرها علي الملكة فى أمر كهذا الأمر ، ومن ثم رفضت التوقيع على طلب الالتماس • والطريف أن ابن « كيف » هذا ، أصبح فيما بعد رئيسا للقضاء ، فما كان منه الا أن أرسلنى الى السجن !

على أية حال ، لقـد أضرت بعض الشىء من جراء هـذه الغطرسة ، لأن أخى اعتاد عليها وعلى المناداة بها ، مما أصابنى بعض الشىء ، حتى أنه كان يقول لى : « بالطبع ، « كيف » الصغير سوف يفعلها معك ، لأنه كان تلميذى فى ونشستر » •

وات :

وفعلها معك ؟

رسل :

فعلها معى ، آوه ، بالطبع •

وات :

هل تعتقد آن آمريكا ، سوف تصبح مثل بريطانيا ؟

رسل :

لا ، لا أعتقد هذا لعدة أسباب ، أهم هـذه الأسباب أن النسبة أو التناسب بين الانجليز والأمريكان محفوظة باستمرار ، وبصرف النظر عن هذا ، هناك أسباب أخرى ، أحد هـــذه الأسباب ، أن أمريكا ليست لها جذور فى الماضى ، كتلك التى لدى أى بلد من بلاد أوروبا ؛ وسبب آخر ، هو أن البريطانى الذى يرحل الى أمريكا ، هو أصلا البريطانى الذى لايستطيع أن يتنازل عن الخاصية البريطانية ، خاصية حب التســوية أو الحلول الوسط ، فى الوقت الذى يلتقى فيه هناك بالعقلية المتطرفة التى استقرت على حب التطرف ، والتى لا تستطيع أن تتواءم مع عقليتنا نحن ؛ هـــذا بالاضافة الى أن قدامى المستوطنين ، كانوا دائما ممن اشتبكوا فى قتال الهنود الحمر ، وهو ما أدى بهم الى تكوين سلالة خاصة •

وات :

هل ترى أن وجهتنا الديمقراطية مسألة ترجع الى التاريخ، أم الى المزاج ، أم الى المناخ ، أم الى شىء آخر ؟

رسل :

أعتقد أنها مسألة ترجع الى التاريخ قبل رجوعها الى أى شىء آخر ، وربما كان من أهم أسبابها فى نظرى ، أننا لم نتعرض

منذ عام ١٠٦٦ لأى غزو خارجى • فى الوقت الذى تعرضت فيه كل بلدة من بلدان القارة الأوربية لغـزاة أجانب ، وليس من شك فى أن الغزاة الأجانب لهم تأثيرهم السيىء ، والسىء جـدا على عقلية الشعوب التى تعانى من غزواتهم •

وات :

هل تعتقد أن الارستقراطية البريطانية ، استطاعت فى عام ١٨٣٢ ، أن تدرك ما كان جدك يحاول أن يعمله من أجلهم بحركته فى الاصلاح ؟

رسل :

لا بأس ، بعضـهم أدرك ، والبعض الآخر لم يدرك ، أما البعض الذى لم يدرك شيئا من حركة الاصلاح ، فقد ظل صامدا على أمل أن يحقق ما يريده ، وأما البعض الذى ادرك حـركة الاصلاح ، فقد استوعبها فى رأيى استيعابا كاملا •

وات :

هل تعتقد ان هذا هو ما حدا بالطبقات العليا فى بريطانيا ، الى تقديم التنازلات ، حتى لا يفقدوا ما يتمتعون به من امتيازات؟

رسل :

نعم ، أعتقد هذا ؛ على الأقل لكى يتجنبوا الشـورات ، ويتجنبوا قطع رؤوسهم ، ويتجنبوا كل ما شابه ذلك ؛ لقـد أظهرت لهم حركة الاصلاح ما كان يمكن أن يحدث لهم ، لو لم يكونوا عقلاء .

وات :

هل تعتقد أنهم لا يزالون على هذا الادارك ؟

رسل :

أوه ، نعم ، بالتأكيد .

وات :

هل تعتقد أنه مما يهم بريطانيا العظمى الآن ، أنها لم تعد بالفعل واحدة من القوى الكبرى ؟

رسل :

لاشك أن شعورى الطبيعى ينتابه الأسف لذلك ، أقصـد شعورى الوطنى العادى ، وهو الشعور الذى يملؤه الأسف ، غير أننى عندما أفكر فى الأمر بطريقة غير شخصية ، لا أشـعر بأهمية هذه المسألة ، أو بأن هذه المسألة من الممكن أن تهم كثيرا .

وات :

لماذا تظن أنها لا تهم كثيرا ؟

رسل :

حسن ، لأن الفضائل المميزة للشـعب البريطانى هى فى نظرى ، مما يظهر داخل البيت أكثر مما يظهر فى خارجه ، ومبلغ علمى أننا لم نكن أفضل بكثير من غيرنا من الشعوب الأخرى ، التى تبادلنا معها العلاقات ، سـواء على مستوى العـلاقات الخارجية ، أو العلاقات التى تهم المواطنين ، هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لابأس من افتراض وجود دول أقـوى من دول أخرى •

وات :

هل تعتقد أن هذه الدول التى أصبحت أكثر منا قـوة ، سوف تقوم بدور أفضل ؟

رسل :

لا ، لا أعتقد أنها سوف تقوم بدور أفضل ، وكل ما آمل فيه هو أن تقوم أمريكا بدور أنفع ، ولكنى لا أتوقع لهـا أن تقوم بدور أفضل •

وات :

كيف ترى مستقبل بريطانيا العظمى ؟

رسل :

اننى أرى مستقبل بريطانيا العظمى فى ضوء تحليلى لما حدث فى هولندا ، لقد كانت هولندا قوة كبرى فى القرن السابع عشر ، ثم توقفت عن أن تكون كذلك . ولكنها لم تعد قوة كبرى بفعل أية كارثة نزلت بها ، لقد انكمشت قوتها بدون أن تصيبها أية نكبة ، وانما تراجعت من تلقاء نفسها لتصبح قوة أصغر ، ولكنها أكثر احتراما وتحضرا ، وهذا فى اعتقادى هو قصارى ما نأمل فيه .

وات :

هل تستطيع أن تصف لى نوع المجتمع الذى ينبغى أن يكون فى هذا الحال ، أو تحت هذا الوضع ؟

رسل :

لا أدرى بالضبط ، ولكنه فى تقديرى سيكون كما هو عليه الآن بشكل أو بآخر ، ستدخل فيه جوانب من التراث ، ممتزجة بجوانب أخرى من الاشتراكية ، وكلا الجانبين سوف يتعايشان سويا .

وات :

هل تعتقد أن بريطانيا ستظل تمارس دورها كقوة معنوية لها تأثيرها فى العالم ؟

رسل :

لا بأس ، بودى أن أعتقد ذلك ، لكن الأمر يتوقف على قادتنا السياسيين ، ولا أدرى أى نوع من القادة السياسيين سوف تأتى بهم الأيام •

●●

المحاورة التاسعة

دور الفرد

وودرو وات :

وماذا تقول عن دور الفرد فى المجتمع ؟

لورد رسل :

طالما راودنى التفكير فى أوجه النشاط ، التى يمكن للفرد أن يقوم بها ، خاصة اذا كان عضوا فى منظمة اجتماعية ، وفى تقديرى أن هناك من أوجه النشاط ذات الأهمية القصوى والنفع البالغ ، ما هو خليق حتى الآن ، بجهود الأفراد ، دونما احتياج لمعونة أية منظمة اجتماعية ، وان كانت هذه الأنشطة فى طريقها الى الاعتماد على مثل هذه المنظمات . ان كبار رجال العلم فى

الماضى ، من أمثال كوبرنيكوس ، وجاليليو، ونيوتن، وداروين،
لم يعتمدوا على أجهزة بالغة التكاليف ، وانما أنجزوا عملهم
كأفراد وكانوا قادرين على هذا الانجاز • وذلك على العكس من
أى عالم فلك فى الزمن الحديث ، فعندما التقيت فى ولاية
كاليفورنيا ، بأحد علماء الفلك المرموقين فى هذا العصر ، ممن
يعد جهدهم على درجه بالغه من النفع والأهمية ، وجدت أن هذا
الجهد يعتمد اعتمادا كاملا على أجهزة تليسكوب شديدة القوة،
وأن هذه الأجهزة تابعة لأحد المراصد الفلكية التى يمتلكها أحد
كبار الأثرياء • وفى أثناء تناول طعام العشاء ، شرح لى هذا
العالم الفلكى ، أنه ما كان يستطيع أن ينجز عمله ، لو لم يكن
على وفاق مع أمثال هؤلاء الرجال الأثرياء •

وات :

وما هو الحل فى نظرك ؟

رسل :

على أية حال ، لا أعتقد أن هناك حلا ، لمثل هذه المشكلة
الجزئية ، ما لم تكن هناك رغبة عامة فى المزيد من المعرفة ، وربما
كان هذا من قبيل الآمال العراض ، ولكنى لا أجد بديلا آخر
يمكن عمله •

وات :

وكيف يتسنى لأحد أن يطالب بحق استخدام مثل هـــذه التجهيزات البالغة التكاليف ؟

رسل :

يمكن ذلك فى حالة ما اذا كان لك حق الزمالة الاكاديمية ، وهذه مسألة يمكن تحديد نسبتها فى العلم لحسن الحظ ، وفقـا لمقدرة الانسان ، ولكنها فى الفن أمر مختلف كل الاختـلاف . فالشاعر أو المصور أو المعمارى ، لا يلزمه أن يكون مبتكرا هائلا حتى يرضى معاصريه ، بل ان من أهم المبتكرين من لا يرضى معاصريه ، لأن ذلك فى الفن أمر على درجة كبيرة من الصعوبة.

وات :

ولكن . هل فى مقـدور الفرد أن يحقق قـدرا أكبر من الحرية العلمية والثقافية ، وما الذى تعنيه هذه الحرية على وجه التحديد ، من حيث أهميتها للمجتمع ؟

رسل :

حسن ، اننا بذلك نصـــل الى النتيجة القائلة بأن حرية التعبير ، بما تنطوى عليه من اهمية فى تشكيل السلوك ، يمكن

تقسيمها الى حرية شخصية وحرية ابداع ، وما اسميه بحـرية الابداع ، ذلك الحافز الذى يستهدف انتاج شيء ما ليس متوفرا لـدى الجميع ، ولا يمكن انتزاعه من أى شـخص آخـر ، أما ما أسميه بالحرية الشخصية فهو ذلك الشيء الخصوصى الذى تكتسبه لنفسك من بين الجميع ، كرغيف الخبز مثـلا • وكلا النوعين من الحرية له وظيفته بطبيعة الحال ، ولابد للانسـان أن يكون آمنا على ممتلكاته الخاصة حتى يظل على قيد الحياة ، أما الحوافز التى لها أهميتها الحقيقية ، ونحن بصدد الحديث عن عالم الحرية ، فهى حوافز حـرية الابداع ، فلو أنك شرعت فى نظم قصيدة من الشـعر ، لما استطعت أن تمنع غيرك من نظم قصيدة أخرى ، ولو انك رسمت لوحة فنية ، لما قدرت على منع غيرك من رسم لوحة فنية أخرى ، فهذه جميعا من قبيـل حرية الابداع ، ولا تمارس على حساب الآخرين ، وبالتالى ينبغى أن يتوافر لها القدر المطلق من الحرية •

وات :

هل تعتقد أن الحـرية العلمية والثقـافية بسـبيلها الى الاضمحلال ؟

رسل :

اجل ، ان اضمحلالها امر محتوم فى الاعم الاغلب ، لكن اضمحلالها، ربما كان فى المجالات الفنية اقل منه بكثير فى المجالات العلمية ، فمن المؤكد أنها آخذة فى الاضمحلال فى مجالات العلم، لذلك السبب الذى سبق أن ذكرته • فالانجازات العلمية باهظة التكاليف فى الزمن الحاضر ، حتى أن عالما من العلماء لايمكن أن ينجز مثلما انجز جاليليو بمنظاره الخاص ، وفى ذات الوقت لا يستطيع مثل هذا العالم أن يصنع منظارا حديثا على نفقته الخاصة •

وات :

هذا صحيح ، ولكن من المؤكد أن ثمة مزية كبرى فى الوقت الحاضر ، تجعل العلماء يمضون فى اكتشافاتهم ، على العكس من علماء الزمن الماضى ، الذين كانت اكتشافاتهم العلمية تعرض حياتهم للخطر ، ورقابهم للقطع •

رسل :

لا أظن أن هذا القول صحيح كل الصحة ، فلا يوجد هناك قانون لتنظيم قطع الرقاب ، ولكن اذا كانت لهؤلاء العلماء سمعة سيئة من الناحية السياسية ، كما يحدث فى كثير من

الأحيــان ، فلن تكون لهم حرية الحصــول على ما يلزمهم من المعــامل .

وات :

ولكن ، هــل تكون الحرية الثقــافية والحرية العلمية ، مكفولة حقيقة بهذا المعنى ؟

رسل :

لا ، لا أظن هذا ، لا أظن أنها تكون مكفونة ، والواقع أن أولئك الذين يحرزون أى تقدم هام فى اى مجال من المجالات، هم فى الأعم الأغلب ، ممن يحرصون على أن تكون لهم مكانة عامة ممتازة .

وات :

هل يمكنك أن تعطينا أمثلة على أمثال هؤلاء الرجال ؟

رسل :

خذ مثلا كوبرنيكوس ، وخذ أيضا جاليليو ، كلاهما ركب الصعب من أجل اكتشافاته ، وداروان بطبيعة الحال ، كان ينظر اليه فى حياته على أنه انسان لا ينبغى ذكره ، وكذلك كان ينظر الى أغلب أولئك الذين حققوا اكتشافات هامة .

وات :

آلا يعد من سوء الطالع ، ان أولئك الذين يقدمون على أعمال ، قد تحقق أولا نحقق نجاحا مرموقا ، يلاقون قدرا كبيرا من المعارضة ؟ ألا يمكن مناقشة هذه الأعمال ، ووضعها موضع الاختبار ، دون أن تدس عليها نظريات التشويش الاعلامى ؟

رسل :

على أية حال ، لا أظن أن هــــذا من شأنه منع نظريات التشويش الاعلامى ، فالحكومات التى سمعت عنهــا فى كافة أرجاء العالم ، تهتم بمثل هذه النظريات ، بل وتشجع عليها ؛ وما لم يكن شرعيا أو قانونيا من هذه النظريات ، يلاقى معارضة شديدة • وفى اعتقادى أن هذا الموضوع يحتاج الى كلام كثير، فاذا لم تكن المعارضة شديدة القســوة ، كانت حافزا مثيرا ، ولكنها اذا كانت قاسية أكثر مما ينبغى ، فانها لا تشـــكل أى حافز على الاطلاق • وعلى كل حال ، اذا تعرض رأسك للقطع ، فان ذلك من شأنه أضعاف قدرتك على التفكير •

وات :

وما السبب فى رأيك ، الذى يجعل كثيرا من الاكتشافات ، تحدث صدمة للناس ؟

رسل :

لأنها تجعلهم غير آمنين ، فكل كائن بشرى ، شأنه شأن أى حيوان ، يريد أن يعيش فيهـا يشعر أنه بيئة آمنة ، وأية بيئة جديدة يمكن اكتشافها ، تعرضه لما لا يتوقعه من أخطار ، فاذا أخبرك أحد من الناس بأن بعض ما كنت تعتقد فيه اعتقادا جازما، لم يكن صـحيحا فى حقيقته ، فانك تصـاب بصدمة مخيفة ، ولا تملك الا أن تصيح : « أوه ! لم أكن أعرف ما كنت فيه ، ومن يدرينى أى أرض تلك التى كنت سأضع فوقها قدمى ، أو لا أضعها على الاطلاق » وبالتالى تجد نفســك فى دوامة من الفـزع •

وات :

لا بأس ، فهذا من شأنه أن يشجع الاكتشافات فى عـالم الفكر النظرى ، عنها فى واقع التطبيق العلمى ، أعنى ، أن أحدا من الناس لا يفكر فيما اذا كان هناك انسان يستطيع أن يخترع آلة تصل به الى القمر •

رسل :

لا ، أبدا ، انهم يفكرون أو على الأقل بعضهم يفكر فى ذلك ، ولا أعتقد أن كثيرا من الناس يفكرون فى اختراع آلة ، من شأنها تدمير الجنس البشرى ، وان يكن مثل هذا الاختراع من صميم العلم •

وات :

أجل ، ولكن الا يعد ذلك شيئا مختلفا عما اقصده بكلامى؟ اعنى ان كثيراً من الاكتشافات الجديدة ، مثل جهاز التليفزيون، لم يشكل صدمة حقيقية للناس ؟

رسل :

حسن ، فهذا اختراع جديد ، ولكن الاكتشافات التى تقام عليها الاختراعات الجديدة ، غالبا ما يكون لها آثار فى عالم الفكر النظرى متعارضة مع آثارها فى واقع التطبيق العملى ، وهذه فى الأعم الأغلب تشكل صدمة لأكثر الناس •

وات :

انك تعلق أهمية كبيرة على الموضوع الخاص بدور الفرد فى المجتمع ، لماذا تولى هذا الموضوع كل هذه الأهمية ؟

رسل :

لأن كل التقدم الهائل الذى أحرزه الجنس البشرى ، منذ بداية التاريخ ، يدين لأفراد من أولئك الذين لاقوا عنتا شديدا من جموع الناس •

وات :

وهل تعتقد ان الخوف من الراى العام ، حجب كثيراً من الناس عن الاقدام على انجاز أعمال حساسة ولكنها صالحة ؟

رسل :

نعم . الرأى العام كان له تأثيره القوى ، وبخاصة فى أوقات الاضطرابات التى كانت تكتنفها جنون العامة ، فما أكثر الناس الذين أصيبوا بالهلع من الوقوف فى وجه جنون العامة ، اذا ما حققوا شيئا لا يرضيهم أو لا يكون فى صالحهم .

وات :

وهل تعتقد أن هذا الرأى ينطبق على الفنانين والعلماء ؟

رسل :

أجل . هذا ما أعتقد فيه ، وفى رأيى أن العلماء يتمتعون بحق اقامة البرهان على صحة آرائهم فى بعض الأحيان ، وذلك على العكس من الفنانين الذين لا يستطيعون أن يبرهنوا على ما اذا كانوا على صواب . فقصارى ما يأمل فيه الفنان أن يصادف تفكيره هوى عند الناس ، ممن يفكرون مثله ، وعلى ذلك تصبح الصعوبة التى يواجهها الفنان أكبر من تلك التى يواجهها العالم . ولكن الذى لاشك فيه ، أن العالم فى العصر الحدث ، يواجه صعوبة هو الآخر ، فربما يقوم باكتشاف مالا تكون مرضيا لحكومته ، الأمر الذى يوقعه فى بعض المشكلات .

وات :

اوه ، ألا تعتقد أنه يستطيع أن ينفد بجلده فى العالم الغربى ؟

رسل :

قد يستطيع ، وقد لا يستطيع ، فهو أمر يعتمد فى أحد جوانبه على شخصه ومركزه ، ويعتمد فى الجانب الآخر على درجة ما لديه من برهان ، أما الجانب الأخير فيعتمد على درجة الاقناع التى يستطيع أن يقنع بها نظام الحكم .

وات :

ما رأيك فى هؤلاء الذين يمكن النظر اليهم على أنهم مفكرون ، دون أن يكونوا على وجه التحديد علماء أو فنانين ؟

رسل :

أجل ان مثل هذا الأمر يختلف من مفكر لآخر ، ولو أن العدد الكبير من المفكرين الذين لا يعبأون بنشر آرائهم على الرأى العام ، يعرضون أنفسهم للوم والتوبيخ .

وات :

وما رأيك فى الأفراد الذين لا يخضعون لأية فئة من هذه الفئات ؟

رسل :

خذ مثلا هذه الحالة الفريدة التى حدثت فى أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى ، انها حالة الرجلين المدعوان ساكو وفانزتى،

الذين وجهت اليهما تهمة الاغتيال • ان الدليل على جريمتهما لم يكن كافيا ، وبعد أن ثبتت ادانتهما ، كلف نفر من الناس باعادة النظر فى الدليـــل على الجريمة ، وكان من بينهم مدير جامعـــة هارفارد ، الذى أصدر حكمه هو ومن معه بادانة الرجلين ، وتنفيذ الحكم فى كل منهما • وفى اعتقادى أنه لو قدر لأى انسان ، أن ينظر فى القضية بنظرة خالية من أى انحياز ، لما ساق هـــذين الرجلين الى الحكم بالادانة •

وات :

حتى مدير جامعة هارفارد ، كان يعلم أنهمـــــا لم يكونا مذنبين ؟

رسل :

اعتقد انه كان يعلم ذلك بالضرورة ، وان كنت لا أستطيع أن أجزم بذلك ، لأنني لم أقرأ صفحة ضميره ، ولكنني أعتقد أنه كان على علم بذلك •

وات :

وكان السبب فى ذلك هو مجرد الرأى العام ؟

رسل :

نعـــم ••

وات :

أعتقد أننا بذلك نكون قد اقتربنا حثيثا من بيت القصيد فى مناقشة موضوع الحرية ، وهو أن الفرد عليه أن يضحى من أجل مجتمع يسوده النظام ، والا ما رأيك فى هذا ؟

رسل :

حسن ، فى اعتقادى أن حماية النظام الاجتماعى ، مسألة جوهرية ، فنحن نعمل بقدر الامكان من أجل عالم تختفى فيه السرقة ، ولا يقتل فيه الانسان أخيه الانسان ، ويسوده فى ذات الوقت نوع من الأمن الداخلى الذى تحققه وسائل الشرطة . وفى اعتقادى أن مثل هذه الضوابط التى توضع لحماية الحرية، ضرورية للغاية ، وبخاصة فى مجتمع على درجة بالغة من الازدحام . خذ على سبيل المثال ، نظام المرور ، فعندما كنت فى سن الشباب ، لم تكن هناك مثل هذه السيارات ، وكنت تستطيع أن تقود سيارتك كيفما تشاء ، دون أن تهتم بأى شىء ، أما الآن ، فثمة قانون محكم لقيادة حركة المرور ، عليك أن تطيعه ، والا عرضت نفسك وعرضت الآخرين معك ، لقدر لا مثيل له من المشكلات . ومرجع ذلك الى شدة الأزدحام فى العالم بوجه عام ، وفى اعتقادى أن مثل هذه الحريات القومية التى كانت تحظى فى الماضى بقدر هائل من التقييم ، أصبحت تشكل نوعا من الضرر ، شأنها فى ذلك شأن نظام المرور ، فى حالة ما اذا لم يكن لدينا مثل هذا النظام .

وات :

وهل تعتقد أننا لازلنا فى حاجة الى المزيد من الضوابط بالنسبة لموضوع الحرية ؟

رسل :

نعم ، بالتأكيد ، لازلنا نحتاج لضوابط على الحرية القومية وان كانت لاتزال هناك بعض الأمور غير المعقوله ، من ذلك مثلا الأسباب التى يعتمد عليها الاشتراكيون من اجل تاميم الموارد الطبيعيه ، تحولت الآن الى ادلة يقيمونها من اجل تدويل هذه الموارد الطبيعيه ، والمثل الصارخ على ذلك هو البترول . وان يكن من غير المعقول ، أن يصبح اقليم من الأقاليم البالغة الصغر مما ظهر فيها ذلك القدر الهائل من البترول ، أن يصبح هـذا الاقليم ، هو المالك الأوحد لهذا البترول .

وات :

هل تعتقد أن الحريات فى حاجة الى المزيد من الاتساع ؟

رسل :

لا بأس من أن يتسع نطاق الحريات فى المجال الذهنى ، وان كان لابد من تحديد نطاقها فيما أسميه بمجال الملكية .

●●

المحـــاورة العاشــرة

التعصب والتسامح

ودرو وات :

ما هو تعريفك بالورد رسل لمفهوم التعصب ؟

لورد رسل :

دعني أعرف لك الشخص المتعصب ، فالمتعصب هـو من يعطى مسألة ما أهمية قصوى ، وينظر باستخفاف الى بقية الأمور الأخرى ، ولكي أضرب لك مثلا أقول ان الناس الطيبين جميعا يتألمون من القسوة على الكلاب ، ولكن الفرد من الناس عندما يرى أن القسوة على الكلاب بشاعة لا تقارن بغيرها ، فهنا يكون التعصب •

وات :

هل تعتقد أن التعصب يجمع ما بين جماعات عديدة من الناس ، وأن ذلك قد حدث كثيرا على مر التاريخ البشرى ؟

رسل :

نعم ، لقد حـدث ذلك فى فترات كثـيرة فى أكثر أرجاء العالم ، وانه لمرض من أمراض العقل أن يشترك فى صفة التعصب جماعات من البشر •

وات :

ما هى أسوأ الظروف التى سمحت بظهور التعصب ؟

رسل :

لا بأس ، ولعلنى أذكر العـديد من الظروف التى ظهرت فيها أمراض التعصب ، خذ معاداة السامية مثلا ، فهذا مثـــال من أبغض الأمثلة على التعصب ، لأنه أبرزها على الاطـلاق ، فضلا عن أنه من البغض بحيث يصعب تحمل التفكير فيه • ومع أنى أعلم أنه ليس من صواب الرأى التحدث فيه ، لأنه ممـا لا يعد من صواب الرأى ، الا أننى أقول ان معاداة السـامية ظهرت بظهور المسيحية ، لأنها قبل ظهور المسيحية كانت أقـل ، أقل من ذلك بكثير ، ففى ذات اللحظة التى دانت فيهـا الدولة الرومانية بالديانة المسيحية ، بدأت تعادى السامية •

وات :

وما الذى ادى الى ذلك ؟

رسل :

لأنهم قالوا ان اليهود هم الذين قتلوا المسيح ، وبالتـــالى كان لديهم ما يبرر كراهيتهم لليهود ، وليس لدى أدنى شك فى أن المسألة كانت وراءها دوافع اقتصادية ، ولكن كان هذا هو التبرير •

وات :

وبماذا تفسر ازدياد الناس ونموهم فى جماعات التعصب ؟

رسل :

حسن ، انه فى جانب من جوانبه ، يعطيهم شعورا دفينـــا بالتآزر ، فأفراد الجماعة من جماعات التعصب ينتابهم الشـــعور بالارتياح ، كلما أحسوا أنهم جميعا أخوة فيما بينهم ، وأنهم كلهم انما يلتفون حول تحقيق نفس الهدف • وهـــو ما تراه واضحا فى أى حزب سياسى ، ففى أى حزب ســـياسى ، تجد دائما جماعة من المتعصبين ، وقد ضمنتهم نفس المصالح ، وعندما تزداد هذه المصالح ، وترتبط بالحقد على جماعات أخرى ، فان التعصب ينمو ويتكاثر •

وات :

ولكن ، هل يمكن للتعصب بمرور الزمن ، أن يسفر عن اتجاه نحو تحقيق الافعال الخيرة ؟

رسل :

ربما يسفر عن اتجاه نحو تحقيق أفعال ، ولكنى لا أظن، أنه أسفر فى أى حقبة من حقب التاريخ ، عن اتجاه نحو تحقيق أفعال خيرة ، انه دائما ما يكون موجها نحو سيىء الأفعال ، لأنه انما ينطوى على التحيز ، ودائما ما يتضمن قدرا من الكراهية ، فالانسان يكره من لا يشاركه تعصبه ، وهذا شيء لا يمكن اجتنابه .

وات :

هبنا أرجعنا التعصب الى اعتبارات اقتصادية ، كما فى حالة الحملات الصليبية مثلا ، ألا يختفى التعصب فى هذه الحالة ، وربما لا يسفر عن أية أضرار ؟

رسل :

لا بأس ، وان كنت لا أدرى .. أو بالأحرى لا أرى أى خير حققته الحملات الصليبية ، لقد مضت الحملات الصليبية بطبيعة الحال ، فى اتجاهين مختلفين ، فى اتجاه التعصب ، وفى

الاتجاه الاقتصادى ، ولقد كان الاتجاه الاقتصادى شديد القوة فى الواقع ، ولكنه ما كان يمضى وحده بدون نزعات التعصب . لقد أمد التعصب الحملات الصليبية بحشود الجند ، أما العامل الاقتصادى فقد زودها بأفراد القادة .

وات :

ولكن ، أى دور قامت به الشعوذة فى ظاهرة التعصب ؟

رسل :

أوه ، ياله من دور فظيع ، ذلك الذى قامت به الشعوذة ، وبخاصة منذ .. أوه .. منذ حوالى عام ١٤٥٠ حتى حوالى عام ١٦٠٠ ، انه بالفعل لدور فظيع ، كان هناك نوع من الأعمال يسمى « مطرقة النساء الشريرات » كتبه أحد الكهنوتيين البارزين ، وكان له تأثيره فى أكثر من أصيبوا بالخبل العقلى نتيجة ممارسة السحر والشعوذة ، حتى لقد اعتقد فيه الناس اعتقادا جازما . وأغلب ظنى أن جان دارك كانت تعتقد أنها عرافة أو ساحرة، ولاشك أن عددا كبيرا ممن حكم عليهم بالاعدام لممارستهم السحر والشعوذة ، كانوا يعتقدون أنهم سحرة ومشعوذون ، مما أدى الى انتشار موجة من العنف والقسوة . ان سير توماس براون ، الذى يبدو لك من خلال قراءة أعماله، انسانى النزعة ، وعلى درجة عالية من التحضر ، قام بدور حقيقى

فى محاكمة المشعوذين بوقوفه فى جانب الدفاع ، لقد ذهب الى أن انكار السحر انما هو نوع من الالحاد ، ذلك لأن الانجيل هو الذى جاء فيه . « انك لن تعانى من أن يبقى ساحر على قيد الحياة » .. وعلى ذلك ، فاذا رأيت فى بعض الناس أنهم سحرة، وكنت تعتقد فى صواب اعدامهم بنار الحريق ، كنت كمن ينكر ما جاء بالانجيل ، وبالتالى كنت واحدا من الملحدين .

وات :

ولماذا نرى كثيرا من أصحاب العقول السليمة ، فى أى مظهر من مظاهر الحياة ، على درجة كبيرة من التعصب ؟

رسل :

لا بأس ، ان سلامة العقل مسألة نسبية ، وقلة قليلة من البشر هى التى تتمتع بسلامة العقل فى كافة المظاهر ، وأغلب الناس يكونون فى موقف حرج اذا ما أصبحوا مجانين ، أذكر ذات مرة ، حينما كنت أقود السيارة فى كاليفورنيا فى يوم مطير للغاية ، أننا أخذنا فى طريقنا أحد المارة ، ممن بللهم المطر ، وكان شديد النقمة على كل أنواع البشر ، حتى لقد وصفهم بأنهم شىء فظيع ، وما كان منى الا أن وافقته كل الموافقة ، وسرعان ما أنبرى أحد الأشخاص ذاكرا الفلبيين من بين سائر البشر ، ناعتا أياهم

بالتفاهة والحقارة ، وهكذا ترى أن مثل هذا الشخص ، يتمتع بقدر من عدم سلامة العقل •

وات :

لماذا تعطى موضوع التعصب كل هذا القدر من الأهمية ؟

رسل :

لأن قدرا كبيرا جدا من الشرور التى يعانى منها العالم ، يرجع الى نزعات التعصب •

وات :

ولكن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، على سبيل المثال ، تفترض أنه من الأهمية بمكان ، أن يؤمن الانسان ببعض المعتقدات التى تبقيه على قيد الحياة ، بدلا من الاعتقاد فى أعمال السحر ، هل يوجد ثمة اختلاف بين ما تفترضه الكنيسة ، وبين ما تفكر فيه اليوم ؟

رسل :

الاختلاف يبدو من زاوية واحدة فقط ، هو أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لم يكن نفوذها من الاتساع بحيث يشمل العالم كله ، فهناك عدد كبير من الناس لا يخضع لسلطان

الكنيسة ، بينما نجد أن القنبلة الهيدروجينية أقدر على الوصول الى كل انســان .

وات :

حسن ، ولكن هل لك أن تفيض لنا فى ذلك ؟

رسل :

أجل بالتأكيد ، انه يستحق الافاضة ، وفى اعتقــادى أن التوتر بين الشرق والغرب ، ذلك التوتر الذى يهددنا جميعــا بأقصى درجات الفزع ، انما يرجع فى أساسه الى التعصب الأعمى سواء للشيوعية أو لمعــاداة الشيوعية . فكلا المعسكرين يؤمن بأن عقيدته وحدها هى الأقوى ، وهو يؤمن بها ذلك الايمــان الذى يجعلنى أصفه بالتعصب ، فهو يطالب بالحــاح أن يدمر خصمه وأن يقضى عليه ، وعنده أن هذا التدمير أهم بكثير من مصير الجنس البشرى كله . وهذا هو التعصب ، انه التعصب الذى يتهددنا جميعا ، التعصب الموجود عند كلا المعسكرين .

وات :

وما هو تعريفك لمفهوم التسامح ؟

رسل :

حسن ، ان التسامح يختلف مفهومه باختلاف وجهة نظرك، فالتسامح فى الرأى ، فى حالة ما اذا كان حقيقة كامل النضج ، يعنى عدم مصادرة أى رأى آخر ، طالما لا يؤدى الى فعـــل اجرامى •

وات :

هل لك أن تعطينا أمثلة على هـذا التسامح من عصـور التـاريخ ؟

رسل :

نعم ، لقد بدأ هذا النوع من التسامح حقيقة فى نهـاية حرب الثلاثين عاما ، وهو لم يبدأ فى انجلترا ابان هذه الفترة ، لأننا كنا فى ذلك الوقت فى معمعة حربنا الأهلية ، ولكنه سريعا ما بدأ بعد ذلك التاريخ • أما أولى الدول التى أخـذت بمبدأ التسامح حقيقة ، فكانت هى هولندا ، فكل قادة الفـكر فى القرن السابع عشر ، تراهم وقد اتخذوا من هولندا ملجأ لهم فى فترة من فترات حياتهم ، حتى انه اذا لم تكن هولندا موجودة ، لما كان لهؤلاء ذكر فى الوجود • ولم يكن الانجليز بأفضـل من غيرهم فى ذلك الوقت ، لقد كان عندنا نـوع من التفتيش

البرلمانى ، وكان هذا التفتيش البرلمانى هو الذى قرر ادانة هوبز، وهو الذى أفتى بعدم جواز طبع أى كتاب له فى انجلترا ، ولم يكن ذلك منذ زمن بعيد ، بعيد جدا .

وات :

هل تستطيع أن تقول أن أثينا القديمة كانت دولة متسامحة؟

رسل :

كانت بشكل أو بآخر ، دولة متسامحة ، بل كانت أكثر تسامحا من دول حديثة حتى القرن الثامن عشر ، ولكنها بطبيعة الحال ، لم تكن متسامحة بشكل مطلق . فكلنا يعلم عن اعدام سقراط ، وعن اعدام غيره من البشر ، كما أن انكساغوراس فر هربا ، ونفد أرسطو بجلده بعد موت الاسكندر ، وهذا معناه أن الأثينيين لم يكونوا بشكل أو بآخر متسامحين تسامحا كاملا .

وات :

ولكن ، كيف يمكننا أن ندرك أننا نمر بعصر من عصور التسامح ؟ كيف يمكننا تمييز ذلك ؟

رسل :

حسن ، يمكنك تمييز ذلك عن طريق الحريات الليبرالية ،

حرية الصحافة ، حرية الفكر ، حرية الدعاية ، حرية أن تقرأ ما تريد ، حرية أن تعتقد فيما تشاء وقتما تشاء •

وات :

ولكن ، كل هذه الحريات مكفولة اليوم فى الغرب ، بدليل ما كنت تقوله منذ قليل ، من أن التعصب لم يعد له هذا القدر من الانتشار ، الذى كان له فى أية فترة من فترات التاريخ ؟

رسل :

لا بأس ، ولكننى لا أعتقد أن هذه الحريات موجودة وجودا حقيقيا ، خذ على سبيل المثال ما يحدث فى أمريكا ، انهم يجوثون خلال المكتبات العامة ، فاذا ما عثروا على أى كتاب به أية معلومات عن روسيا ، أحرقوه على الفور ، ولا يمكنك أن تسمى هذا تسامحا على الاطلاق •

وات :

لو لم نكن متحمسين لما قدرنا على انجاز شىء ، ولو أننا تحمسنا أكثر مما ينبغى لانجرفنا فى خطر التعصب ، كيف يمكننا أن نتأكد من أن ما نفعله هو الصواب ، وأننا لا نلقى بأنفسنا فى أتون الدولة المتعصبة ؟

رسل :

حقـا ، انه لشيء لا يمكن التحقق منـه ، ولكن الذى تستطيع أن تفعله ، هو الآتى .. أن تضع لنفسك مبدأ ، هـو ألا تقدم على عمل شيء ، الا اذا اعتقدت تماما أنه صـواب ، فاذا رأيت أن الخطأ يمكن أن يؤدى الى كارثة ، فالأفضـل لك أن تحجم عن انجاز هذا الشيء . ولكى أطبق لك هـذا المبدأ ، أضرب لك مثلا بحرق الناس على الخازوق ، فلو أن اللاهوت السائد فى عصور الاضطهاد ، كان على صواب كامل، لكان من الأفضـل له أن يحـرق جميع الهراطقة بشـدهم الى الخازوق . فاذا كان هناك أدنى شك فى صواب هذا اللاهوت ، كان حرق هؤلاء الناس ، عملا بالغ السوء ، وفى اعتقادى أن هذا المبدأ ، هو الذى يستطيع الانسان أن يأخذ به ، ويسير على هـداه .

وات :

وهل ينطبق هـذا المبدأ على الحـكومات والأحزاب السياسية ؟

رسل :

أوه ، انه ينطبق عليها بالتأكيد ، أقصد أن كل من ينتمى الى حزب سياسى ، يعتقد أن الحزب الآخر على خطأ ، وحزبه على

صواب ، ولكن ، لا ينبغي له أن يزعم لنفسه الحق فى اغتيـــال أعضاء الحزب الآخر .

وات :

ما هى حدود التسامح ، ومتى يتحول التسامح الى فوضى وانحراف ؟

رسل :

فى اعتقادى أن الاجابة الطبيعية المتحررة ، هى التى تنادى بالتسامح الكامل فى الدفاع عن حرية الرأى ، فى الحدود التى يسمح بها القانون ، ولا يعنى هذا المناداة بالتسامح الكامل فى الدفاع عن حرية الأفعال ، التى لا يزال القانون ينظر اليها نظرة التجريم. ولكى أوضح لك ذلك ، أضرب لك مثلا عقوبة الاعدام، وهى أقصى عقوبة فى القانون ، ربما كان من حقك أن تعيد النظر فى تطبيقها فى أية دولة من الدول ، ولكن هذا لا يعطيك الحق ، فى أن تغتال فردا من الأفراد ، اعتقدت فى لحظة أنه يســتحق الموت .

وات :

هل تعتقد أن التعصب يغرق العالم موجة فى أثر موجة ؟ وأننا اليوم نمر بموجة من موجات التعصب ، ستدفع بنـــا الى الموت غرقـــا ؟

رسل :

أوه ، هذا صحيح ، ولكن موجات التعصب هذه ، هي التي يمكن أن تلقى حتفها ، لو أن الأمور وضعت في مكانها الصحيح ، أعني لو أن العالم مر بحالة من حالات الاستقرار العادل . وطالما كان العالم عرضة لحالات الفوضى وعدم الاستقرار ، فان هذا مما يؤدي الى نمو التعصب وتكاثره ، وعلى ذلك ، فالواجب علينا أن نبحث للعالم عن حالة من حالات الاستقرار .

وات :

هل تعتقد أن هناك أملا في محو التعصب من العالم ؟

رسل :

أوه ، أعتقد أن هناك أملا كبيرا ، وهذا الأمل يتوقف على رجال السياسة ، وفي اعتقادي أننا لو استطعنا أن نتوصل الى نظام من شأنه القضاء على شبح الحرب العالمية ، فان التسامح وصواب التفكير كلاهما ، سينموان بخطى سريعة ، سواء في الشرق أو في الغرب . غير أنني أظن ، انه طالما كان هذا التوتر قائما ، فان الأمر سيكون بالغ الصعوبة .

● ●

المحاورة الحادية عشرة

القنبلة الهيدروجينية

وردرو وات :

ما الذى تعتقد يالورد رسل ، أنه يمكن أن يحدث ، لو قامت حرب هيدروجينية ؟

لورد رسل :

هذا سؤال بالغ الصعوبة ، ولا أحب أن أخضــع الاجابة عليه لمحك التجربة ، لكن الذى يبدو لى واضحا جليا هو أنه لو قامت مثل هذه الحرب الهيدروجينية ، فان كل فرد على ظهر نصف الكرة الشمالى سيفنى عمليا ، كما أن عددا كبيراجــدا

من البشر ، ممن هم على ظهر نصف الكرة الجنوبى ، سيلقى حتفه بفعل الغبار الذرى ، وفى اعتقادى أن العالم يصبح فى موقف ، يستحيل معه على أى انسان أن يحقق شيئا ، مما يود الانسان أن يحققه ، كما أنها ستكون نهاية دامية لأغلب الأشـيـاء التى تحظى منا بالعناية .

وات :

تقصد انها ستكون حربا بلا منتصر على أى من الجانبين ؟

رسل :

نعم ، لن يكون هنـاك منتصرون على أى من الجانبين ، اللهم الا اذا كان لديك تعريف جديد للنصر ، أقصد ربما يتبقى فى نهاية هذه الحرب ، سـتة أشخاص فى المعسـكر الغربى ، وأربعة أشخاص فى روسيا ، وأربعة أشخاص آخرين فى الصين. وهذا معناه أن أحد الجانبين يحظى بأكثرية شخصين ، واذا كان هذا بطبيعة الحال ، هو نوع النصر الذى تعنيه ، فانه لن يكون نصرا سعيدا على الاطلاق .

وات :

وهل تعتقد فى احتمال قيام حرب هيدروجينية ؟

رسل :

حقيقة آمل ألا تنشب مثل هذه الحرب ، ولكنى أعتقد تماما فى احتمال نشوبها اذا ما بقيت الأمور على ما هى عليه الآن، ذلك لأن الحاجة أساسا الى مواجهة مباشرة بين الطرفين ، وهى الحاجة البالغة الأهمية من وجهة النظر العسكرية ، معناها اقحام الطرفين فى مغامرة سوء التفاهم الكامل . وربما كان ذلك ظاهرة طبيعية ، أن يفكر أحد الطرفين فى أن الطرف الآخر قد بدأ حربه الهيدروجينية ، فيفلت من بين يديه زمام الأمر كله ، فى الوقت الذى لم يفكر أحد فى ذلك على الاطلاق ، وهـــذا ليس أمرا مستحيل الوقوع بشكل من الأشكال .

وات :

يذهب الناس فى بعض الأحيان الى القول بأن وضع العالم فى حالة من حالات سباق التسلح ، يؤدى به حتما الى الحرب ، هل ترى الأمر كذلك أم لا ؟

رسل :

حسن ، ولكننى لا أود أن أقول ان الحرب تنشب حتما ، فأنا لا أحب أبدا أن استخدم كلمة « حتما » ، ولكن ســـباق التسلح من حيث هو قاعدة ، يؤدى الى الحرب . فأغلب سباقات

التسلح ، التى يمكننى أن أذكرها من التاريخ ، انتهت بالحرب .
وفى اعتقادى أن المسألة طبيعية جدا من وجهة النظر السيكلوجية، ذلك لأن التسلح على أحد الجانبين ، يؤدى الى الخوف والكراهية والى المزيد من التسلح على الجانب الآخر ، وهذا بدوره يؤدى الى قدر أكبر من التسلح على الجانب الأول ، وهكذا وهكذا .. ينمو التسلح ويتكاثر ، وتتوتر أعصاب الناس وتزداد توترا ، الى أن يصل بهم الأمر الى درجة عدم الاحتمال ، والتفكير فى أن أى شىء آخر أفضل من احتمال هذا التوتر . هذا ما يحدث عادة فى سباقات التسلح ، وهو ما حدث بالفعل قبل عام ١٩١٤ .

وات :

هل تعتقد بناء على ذلك ، أن الغرب فى عام ١٩٥١ ، عندما بدأ برنامجه الكبير من أجل اعادة التسلح ، قد أثر بذلك فى وقف نشوب الحرب ، على اعتبار أن الروس انتابهم الشعور بأنهم لن يتمكنوا من تحقيق نصر سهل وسريع ، ولذلك لم يحاولوا القيام بالحرب ؟

رسل :

من المحتمل أن يكون الأمر كذلك ، ولو أنه من الصعوبة بمكان أن تعرف ما الذى كان يدور بذهن الحكومة السوفيتية

فى ذلك الحين ، ولا يستطيع الانسان على الاطلاق أن يتأكد مما اذا كانوا قد حاولوا شن هذه الحرب العدوانية ام لا ، ولكننى على أية حال ، أود أن أقول انه ما لم يكن هناك شىء آخـر ، غير سباق التسلح المستمر ، هـو الذى يستحوذ على اهتمـام الحكومات ، فان ذلك وحده من شأنه ارجاء نشوب الحرب ٠ وبعد كل شىء ، لدينا مثال حرب عام ١٩١٤ ، فقبل هذا التاريخ، كانت هناك أزمات شديدة الشبه ، بما لدينا من أزمات حـول سياسة حافة الهاوية ، ولم تؤد هـذه الأزمات الى نشـوب الحرب حتى عام ١٩١٤ ، حتى لقد هتف الناس : « أوه ، حسن، لو أننا احتفظنا بمعدل التسلح متساويا على كلا الجانبين ، فلن تقوم للحرب قائمة » ٠ ولكن الأمر لم يكن كذلك ، وجاءت الرياح بما لا تشتهى السفن ، وأخشى ما أخشاه أن يحـدث ذلك مرة أخرى ٠

وات :

ألا ترى أنه يمكن القول بأن وجود القنبلة الهيدروجينية، وما قد يسفر عنه وجودها فى حالة قيـام الحرب ، هو الـذى أثار الفزع فى قلوب الحـكام ورجال الـدولة ، فأحجموا عن

استخدامها حتى فى ظروف الازمات المتعددة التى حدثت حول مشكله برلين ، على الرعم من استخدام هده القنبله من قبل ؟

رسل :

تستطيع أن تقول ذلك ، وتستطيع أن تصر عليه ، ولكنى أعتقد للمرة الثانية أن التاريخ لا يقف فى صفك ، فكل انسان يذكر أن نوبل ، هذا الذى أنشأ جائزة نوبل للسلام ، وكان من أشد المدافعين عن قضية السلام ، هو نفسه الذى اخترع الديناميت . لقد ظن أن اختراع الديناميت سيجعل من الحرب شيئا مروعا ، بحيث لا يفكر أحد فى قيام حرب أخرى على الاطلاق ، ولكن الأمور لم تسر وفقا لما كان يشاء ، وأخشى ما أخشاه أن يتكرر نفس الشىء بالنسبة للقنبلة الهيدروجينية .

وات :

من المؤكد أن القنبلة الهيدروجينية سلاح مختلف عن أى سلاح آخر كل الاختلاف ، انه ليس مجرد سلاح جبار فى نفس الميدان ، ولكنه سلاح مختلف تماما عن أى سلاح .

رسل :

أجل ، ولكن الناس سرعان ما يعتادون على الأشياء التى تثير فيهم الرعب ، فعنـدما ألقيت القنبلة الـذرية على كل من هيروشيما ونجازاكى ، أصيب العالم بحالة من الفزع ، وصـاح الناس : « ياله من شىء فظيع ! » والآن ، أصبحت القنبلة الذرية تستخدم كسلاح من أسلحة التكتيك الحربى ، ولا يعبأ الناس بها كثيرا ، لقد أصبحت شيئا طريفا باليا ، شأنها شأن الأقواس والسهام .

وات :

وما هو الاجراء العمـلى الذى تراه ممكنا للحد من خطر القنبلة الهيدروجينية ؟

رسل :

اذن ، هناك عدة أشياء ، أولها وأكثرها سهولة هو وقف التجارب الهيدروجينية ، فهذا من شأنه أن يساعد فورا على الحد من خطر هذه القنبلة ، فهو فى المقام الأول سيوقف تسـاقط الغبار الذرى الذى أصبح أسوأ بكثير مما كان يتصوره الخبراء . ولكن هذا فى نظرى ليس مهما كل الأهمية ، بالقيـاس الى

ما يترتب على ايقاف التجارب الهيدروجينية من منع ظهور قوى أخرى جديدة ، وطالما كانت القنبلة الهيدروجينية موجـودة فى الوقت الحاضر ، فى كلا المعسكرين .. الشرقى والغربى ، وطالما كانت الفرصة سانحة أمام أية حكومة لا تقدر مسئولية الاقدام على عمل طائش ، وهى الفرصة التى تتزايد بتزايد انتشار هـذا السلاح ، فان الصعوبة فى ايقاف استخدام القنبلة الهيدروجينية تصبح بالغة الى حد كبير . وعلى ذلك يصبح من الضرورى فى اعتقـادى الوصـول الى اتفاقية بايقـاف اجراء التجـارب الهيدروجينية ، وهو اجراء عملى من الناحية السياسية ، ويمكن أن يوضع موضع الاعتبار . والخطوة الثانية التى تلى هـذه الخطوة الأولى ، هى الوصول الى اتفاقية بألا تحرز القـوى الجديدة هذه القنبلة الهيدروجينية ، فاذا كان من بنود هـذه الاتفـاقية أن تتخلى بريطانيـا عن قنبلتها الهيدروجينية ، ففى اعتقادى أننا نكون حكماء بدخولنا فى مثل هذه الاتفاقية .

وات :

كيف يمكننا التوصل الى مثل هذه الاتفاقية ، فى الوقت الذى يتعين علينا فيه آن نوقف فرنسا وغيرها من الـدول التى تشبهها فى طاقتها الصناعية ، عن صنع القنابل الهيدروجينية ؟

رسل :

حسن ، فى اعتقادى اننا نستطيع أن نفعل ذلك ، اذا أستطعنا الوصول الى اتفاقية بين روسيا وأمريكا بأن تستخدم كل من الدولتين ، كافة قواها الاقتصادية ، وكافة أجهزتها الدعائية فى اقناع الدول التى تدور فى فلكها على اتباع هذه السياسة .

وات :

هل تفترض فى هذه الحالة ، أن بريطانيا ستعمل من جانبها على نزع سلاحها بالنسبة الى القنبلة الهيدروجينية ؟

رسل :

بالطبع ، اذا وجد هذا البند فى هذه الاتفاقية ، فاذا نصت هذه الاتفاقية على ألا تمتلك أية دولة غير أمريكا وروسيا لهذه القنبلة ، فأغلب ظنى أن بريطانيا لا تجد أمامها سوى أن تقول : « وهو كذلك ، لسوف ندخل فى هذه الاتفاقية ، نحن وغيرنا من القوى الصغرى » .

وات :

تقصد أن بريطانيا ينبغى عليها أن تعقد صفقة تتخلى بمقتضاها عن انتاج القنبلة الهيدروجينية ، فتحذو حذوها كل الدول الأخرى ، وبالتالى تعوضها كل من أمريكا وروسيا .

رسل :

نعم ، وهذا فى اعتقادى تصرف حكيم ، انه مجرد خطوة أولى ، وهو لا يضمن النتائج التى نريد لها الضمان ، ولكنه سيكون بالتأكيد خطوة أولى .

وات :

ألا ترى أن الأمر يصبح أكثر خطورة ، لو بقيت القنبلة الهيدروجينية فقط فى حوزة كل من أمريكا وروسيا ؟

رسل :

نعم ، انه بالتأكيد لأمر خطير ، ولكنك فى الواقع لاتستطيع أن تتحاشى الخطر طالما كانت هناك استعدادات سياسية جديدة ، وحتى لو لم توجد القنبلة الهيدروجينية لدى أحد ، فستظل لديهم نظرية صنعها ، واذا ما نشبت الحرب ، فما أسرع صنعها بالنسبة لكلا الجانبين . وعلى ذلك ، فلا أظن أننا نستطيع أن ندرأ ذلك الخطر ، مالم نتوصل الى سبيل يجعلنا نتفادى شبح الحرب ، وان كنت أعتقد أن احتمال نشوب الحرب ، يمكن أن يكون محدوداً للغاية ، لو اقتصر امتلاك القنبلة الهيدروجينية

على هاتين الدولتين . ان ذلك من شأنه أن يحد من مغامرة الحرب المفاجئة ، ومن شأنه أيضا آن يحد من مغامرة بعض الحكومات المتهورة ، التى قد يتراءى لها أنها انما تفعل خيرا بمبادرتها باعلان الحرب . وعلى العموم ، فهو يزيد من سهولة التفاوض حـول زيادة استقرار ما هو مستقر .

وات :

هل لنا الآن أن نترك مجال الكلام فيما يمكن عمليا أن نقنع به الحكام ورجال الدولة ، لندخل فى مجال الكلام عن العمـل الأمثل الذى يمكن أن يحققوه ، لو أنهم اقتنعوا بالفعل ؟

رسل :

ليس الآن تماما ، ففى اعتقادى أننا سرعان ما نقتحم هذا المجال ، ولكن بعد الكلام عن شىء هو فى نظرى عملى للغاية ، ومن الأهمية بمكان ، ألا وهـــو أن التوتر الدائر بين كـلا الجانبين .. بين الشرق والغرب ، سيؤكد لهما ضرورة التوصـل الى اتفاق . فحتى الآن ، ومنذ عام ١٩٤٥ ، وكلا الجانبين يظن أن الأمر ليس أمر التوصل الى اتفاقات ، ولكنه تقديم الاقتراحات التى يرفضها الجانب الآخر ، والتى يتحمل وزر رفضها . ومن

الطبيعي ألا يؤدي هذا الى أي اتفاق ، فاذا كان لابد للحكومات من أن تحقق شيئا ما ، فمن الأهمية بمكان ان تصل هذه الحكومات الى اتفاقات ، وألا تكتفي بمجرد اجراء المفاوضات ، وهذا وحده كفيل بالتقدم بالمسألة خطوة صحيحة الى الامام • وهذا هو كل ما يقال بشأن مجال السياسة العملية •

وات :

الواقع أن النقطة الجوهرية بشأن مسألة القنبلة الهيدروجينية ، هي محاولة تحاشي نشوب الحرب على الاطلاق، لأنها اذا ما نشبت لسارع الناس الى استخدام القنبلة الهيدروجينية أو على الأقل الى صنعها ، طالما كانت نظريتها معروفة لديهم من قبل •

رسل :

هذا صحيح ، ولهذا السبب ذاته تصبح الاتفاقات حول عدم صنع الأسلحة النووية بغير ذات أهمية ، على العكس مما يتصور الناس • وقصارى ما تحققه هذه الاتفاقات من أهمية ، هو أنها تحد من شدة التوتر ، وتزيد من احتمالات التوصل الى نوع من نزع السلاح الدائم • ولا ينطبق هذا فحسب على الأسلحة النووية ، ولكنه يمتد فيشمل كذلك الأسلحة الكيماوية

والأسلحة البيولوجية ، التى ربما تغدو ذات ضرر لا يقل عن ضرر القنبلة الهيدروجينية . فلو أننا وضعنا فى اعتبارنا هـذه الأمور مجتمعة ، فلن يعاف الجنس البشرى طالما أننا لم نتوصل بعد الى الطريق المؤكد لمنع نشوب أى حرب من الحروب .

وات :

والآن ، كيف تتصور هذا الطريق ؟

رسل :

ثمة طريق واحد فقط ، هو الذى يمكننى أن أتصـوره ، ألا وهو اقامة حكومة عالمية يكون لها وحدها حق احتكار كافة الأسلحة ذات الأهمية فى الحرب ، حكومة عالمية تكون مهمتها مراعاة كل الصراعات القائمة بين مختلف الدول ، وذلك بتقديم الحلول ، أو بالأحرى فرض هذه الحلول عن طريق القـوة اذا ما اقتضى الأمر . وينبغى لهذه الحكومة العالمية أن يكون لديها من القوة ، بحيث يستعصى على أية دولة متمردة أن تحـاول مقاومتها ، أو العمل ضدها .

وات :

وماذا يتبقى بعد ذلك من جيوش وأساطيل وقوى جوية ، لمختلف الحكومات القومية ؟

رسل :

لا يتبقى لها من هـذا كله ، الا ما يكفى لحفظ النظـام الداخلى ، أقصد ما يكفى لما يمكنك أن تسميه بالاجراء البوليسى، وما يمكن الحكومة من فرض سيطرتهـا الداخلية على أجهزة الدولة ، دون أن تتجاوز ذلك الى سن الهجوم على أية دولة أخـرى .

وات :

هل تقصد أن تكون كل مهمة روسيا وأمريكا وبريطانيا هى وضع ضمانات السلام الداخلى ، دون أن تكون لأى منها أدنى علاقة بالمواقف الخارجية كتلك الحادثة فى روديسيا مثلا ، أو فى أى اقليم آخر ؟

رسل :

نعم ، هذا هو ما أقصده ، لأن السلطة العالمية ، وليسـت الدولة القومية ، هى وحـدها صاحبة الحق فى التعـامل مع روديسيا أو غيرها من الأقاليم . الدول القومية ليس لها سوى مشاكلها الخاصة ، وليس لها أن تتجـاوز حدودها بالتدخل فى

مشاكل الدول القومية الأخرى ، فمثل هذه المشكلات القائمة بين دولة وأخرى ، ينبغى أن تكون من اختصاص السلطة العـالمية وليس من اختصاص أية قوة وطنية .

وات :

وهل نجيز لهذه السلطه العـالميه حق استخدام الأسلحة النووية ، ضد أية دولة وطنية ترفض الرضوخ لماتنتهى اليه السلطة العـالميه ؟

رسل :

هذا سؤال صعب للغاية ، ومرجع الصعوبة فيه أننى لا أريد أن أبـدى رأيا قاطعا فى هـــذه القضية ، فاذا كانت الضرورة القصوى تقتضى منى أن أجيب بالموافقة ، فان خطورة استخدام الأسلحة النووية أنهـا لن تدمر فحسب الدولة التى ستستخدم ضدها هـــذه الأسلحة ، ولكنها ستدمر كافة دول العـــالم بلا استثناء .

وات :

هل يحدوك التفاؤل فى أن تسلك الشعوب والحكومات جميعا ، السلوك السليم بشأن القنبلة الهيدروجينية ؟

رسل :

لا بأس ، ثمة أوقات يحدونى فيها التفاؤل، وأوقات أخرى، لا أكون فيها متفائلا على الاطلاق . ولست أعتقد أن أحدا من الناس يستطيع أن يخمن الى أى مدى يمكن للحكومات أن تسلك الطريق السليم ، وقصارى ما يأمل فيه الانسان ، أن يجىء الوقت ، الذى تستطيع فيه الحكومات أن تتفهم مشاكلها على نحو أفضل .

●●

المحاورة الثانية عشرة

مستقبل الجنس البشرى

ودرو وات :

لقد غطينا يالورد رسل العديد من مختلف الموضوعات فى هذه الأحاديث ، فما قيمة هذه الأحاديث فى رأيك بالنسبة لمخاوف الجنس البشرى وآماله ؟

لورد رسل :

اذن ، فهذا سؤال بالغ الصعوبة ، فأنا أرى أن احتمالات المستقبل تدعو للتفاؤل أحيانا كما تدعو للتشاؤم أحيانا أخرى ، ولكننا اذا أردنا الدقة والتحديد ، ففى اعتقادى أن دواعى التشاؤم أكثر .

وات :

اذن ، دعنا نبدأ بدواعى التشاؤم ، ما هى الآمال المعقودة على ذلك فى رايك ؟

رسل :

دعنا نزعم ، كما هو حاصل الآن ، أن الجنس البشرى لن يزج بنفسه فى حرب كبرى ، وفى اعتقادى أن الخطر الأكبر كما أراه هو النزعة العسكرية ، وربما كان فى امكان العالم تحت تأثير الاكتشـــافات العلمية ، وامكانيات التنظيم والادارة ، أن يصبح منظما تنظيما كاملا بما لا يدع مجالا للهزل أو المزاح .

وات :

وهل تعتقد أن النمط الادارى سيكون هو الغالب أو هو المثل الأعـــلى ؟

رسل :

أعتقد أن ذلك ممكن ، فالنمط الادارى يحتوى فى داخله على قـــدر ما من الـــكفاية العلمية ، ذلك لأن النمط الادارى الآن ، قادر على انجاز أشـــياء لم يكن يقدر عليها من قبـــل الاطلاق ، بعضها جيد ، ولكن أكثرها سيىء .

وات :

ما هى أنواع الأشـــياء التى يمكن أن تنجم عن النمط الادارى ، مما تعده سيئا ؟

رسل :

لا بأس ، يمكن للنمط الادارى فى المقام الأول ، أن يبدأ من مدارس الأطفال ، وأن يمضى فى مدارج التعليم ، فيكون له أقوى التأثير وأعظمه ، على آراء الناس وأفكارهم ، بحيث يصبح ما يفكر الانسان فيه ، وما يحلم به ، وما يخاف منه ، محـــدودا بسلطات التعليم • وعلى ذلك تغدو أشواق الانسان ومخاوفه وفقا لما يريده ذلك النمط الادارى ، ولسوف يكون من أهـــم مهام هذا التعليم ، تدريب الفرد على التفكير الجيد فى الحكومة، التى لا تكون حكيمة أو رشيدة على الدوام •

وات :

ولكن ، ألن يوجد باستمرار ، ذلك الشخص القـــوى ، المستقل الفكر ، الذى على شاكلتك مثلا ، فيكون قادرا عـــلى الاستخفاف بذلك النمط من التعليم ؟

رسل :

لا أظن ذلك ، لا ، بمعنى أن الناس الذين هم على شاكلتى، والذين ينتمون الى النمط الذى انتمى اليه ، انما شـــبوا فى

عالم من الطراز القديم ، عالم أكثر اتساقا وتوافقا من العالم الذى أتوقعه فى المستقبل • عالم كانت توجد فيه الكثير من الثغرات ، والكثير من الاستثناءات ، ولم يكن الناس جميعا فى ذلك العالم ، يصبون فى قالب محدد ، كما يمكننى أن أراهم فى عالم المستقبل •

وات :

هل تقصد أن الناس لن يكونوا قادرين على أن يستخلصوا لأنفسهم حياة شخصية ، من براثن ذلك النمط الادارى الذى ستكون له اليد العليا فى الأمور ؟ وهل لك أن تمدنا ببعض التفاصيل الأكثر دقة وتحديدا ؟

رسل :

لا بأس ، خذ على سبيل المثال ، تلك الزاوية التى قد تكون أكثر ما فى الموضوع كله أهمية ، وأقصد بها علم تحسين النسل، افترض جدلا ان احدى الحكومات العلمية سيطرت عليها فكرة امكان تربية جنس بشرى أفضل من جنسنا البشرى هذا ، انها لابد أن تكون على بينة من أمرها ، من وجهة النظر العلمية البحتة، من أن سلالة المستقبل ينبغى أن تتكون من خمسة فى المائة من الذكور ، وثلاثين فى المائة من الاناث ، ولكى تتحقق من هذه

النسبة ، ينبغى أن تعمل على تعقيم البقية الباقية • ولاشك أن ذلك سيكون سيئا للغاية فى واقع الأمر ، ولكننى واثق من أن ذلك محتمل الحدوث •

وات :

ولكن هل تعتقد أن هناك احتمالا حقيقيا فى أن يسيطر العلم على عقول البشر ، حتى يمكن أن يحدث مثل ذلك ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أنهم بصدد تحقيق ذلك ، بدافع تحقيق النصر فى الحرب ، لأنه قد غدا من الواضح جدا امكان انتاج سلالة بشرية بهذه الطريقة ، ومثل هذه السلالة ، ستكون أكثر كفاءة فى الحرب ، من تلك السلالات التى خرجت حسبما اتفق ، أو بطرائق تحكمها المصادفة والاتفاق • وفى اعتقادى أنه من السهولة بمكان ، اقناع مثل هذه السلالة بضرورة استخدام الأسلحة الذرية ، على اعتبار أن الجانب الآخر يملك هذه الأسلحة بالضرورة ، وعلى ذلك يصبح انتاج النسل بالطريقة العلمية ، على جانب كبير من الأهمية ، طالما كان الجانب الآخر ، سيستخدم هذه الطريقة •

وات :

هذا هو التصور الـذى جاء فى رواية ١٩٨٤ لجـورج أورويل ، أو فى رواية « عالم شجاع جديد » لألدوس هكسلى، ولكن هل تعتقد أن ذلك يمكن أن يحدث فعلا خارج العـالم الشيوعى ؟ أعنى أن يحدث مثلا فى عالم يسوده الفكر المحافظ ؟

رسل :

أعتقد أنه أقل خطورة فى الغرب ، منه فى العالم الشيوعى، ولكنى أعتقد كذلك أنه موجود فى الغرب بشكل لافت للنظر ، بشكل لافت جدا للنظر .

وات :

ما هو الرأى المحافظ ، والزى ، والعادات ، والفكر المحافظ، وما الى ذلك مما تعتقد فى وجوده ؟

رسل :

حسن ، خذ الفن على سبيل المثال ، لقد لاحظت مرة فى أثر مرة أثناء أسفارى وخاصة فى أمريكا ، انهم يحملون للفن قدرا كبيرا من الاحترام ، كما أنهم يدفعون للفنانين الأوربيين الممتازين ، مبلغا كبيرا من الدولارات . ولكنك فى ذات الوقت، لا تكاد تجد طفلا أمريكيا يسمح له بممارسة تلك النزعة الفنية

المتحررة ، التى لابد له منها ، اذا ما فكر فى أن يصبح فنانا ، وعلى ذلك ، فان جميع الفنـــانين الذين يحظون بتقديرهم من الأوربيين وليسوا من الأمريكان •

وات :

هل تعتقد أن الفن يلاقى فى روسيا ألوانا من المعاناة ؟

رسل :

أوه ، لا أكاد أدرى ، لأننى لم أزر روسيا منذ عام ١٩٢٠ ، وان كنت أرجح ذلك بالضرورة ، فعلى الرغم من ظهور رواية دكتور زيفاجو ، الا أنه فيما يبدو لى أن الأدب هناك يلقى الكثير من صنوف المعاناة ، أعنى أن الأدب السوفيتى فى العهد القيصرى، كان يتمتع بمكانة رفيعة ، ولا أعتقد أن أحدا يمكن أن يصــفه بذلك فى الوقت الحالى •

وات :

وماذا عن فن الباليه فى روسيا ؟

رسل :

الباليه هو كل ما تبقى من عهد القيصرية ، لقد بدا لى فن الباليه عندما شاهدته فى عام ١٩٢٠ ، وكأنما يعطينى الانطبــاع

بقطف الزهور ووضعها فى آنية »: لقد شعرت بمدى جماله ومدى رشاقته ، ولكنه لم يضف على روحى أى شعور بالحيوية ، وفى اعتقادى أنه الآن مجرد تحفة فنية فى أحد المتاحف .

وات :

هل تعتقد أن من شأن هذا كله ، أن يؤدى الى نوع من التحجر العام ، الذى لا يسمح بظهور شىء جديد ؟

رسل :

نعم ، أعتقد أن ثمة خطرا كبيرا يمكن أن يحدث من جراء ذلك ، كأن تصبح روسيا مجتمعا بيزنطيا ساكنا ، بحيث يتشابه ذلك جيلا وراء جيل ، وفى النهاية يتقولب الناس فى قالب واحد، الى الدرجة التى لا يستطيعون فيها تحمل هذا النظام ، فيرفضونه من جراء الملل .

وات :

ربما كانت من اهم الصعوبات التى تواجه الانسان ، أنه لا يستطيع أن ينجز شيئا من خلال اقتناعه بفكرة انصاف الحلول ، وربما بدأ بداية طيبة ولكنه سرعان ما يندفع الى طرف النقيض ، هل تعتقد أن الانسان سوف يتعلم منطق الحلول الوسط ؟

رسل :

حسن ، فالأمل يحدونى فى أنه سوف يتعلم ذلك بالضرورة، ففى اعتقادى أن هذه مسألة ضرورية جدا فى الواقع كما أعتقد أن ذلك ممكن الحدوث ، غير أننى لا أتكهن له بمثل هذه الكهانة المتشائمة ، وآمل ألا تحدث له على الاطلاق ٠

وات :

هل يمكننا أن ننتقل الآن الى الأشياء الأكثر بهجة ؟

رسل :

حسن ، ان أولى ما نحتاج اليه من أشياء ، هو التحقق من أن شرور العالم ، بما فى ذلك الشرور التى لم يسلم منها فى الزمن السابق ، يمكن أن تمحى فى الوقت الحاضر ٠ وما أدى الى استمرار وجود هذه الشرور ، الا الآلام الدفينة التى ظلت قابعة فى أرواح الناس ، تحول بينهم وبين ارادتهم المسلوبة ، فى أن يخطوا خطوات ايجابية لاضفاء السعادة على غيرهم من البشر ٠ ففى اعتقادى أن كل متاعب العالم الحديث ، فضلا عن قوة التكنولوجيا الحديثة ، انما تكمن فى علم النفس الفردى ، أو بالأحرى فى آلام الانسان الفرد ، ويالها من آلام ضارة ! فلو قدر للانسان ، ولو قدر له بصورة أقوى ، أن يكون سعيدا فى عالم

متماسك ومتكامل ، لكان لزاما عليه أن يعمل على اسعاد جيرانه من البشر ، مهما كان يكن لهم من شعور بالكراهية • وفى تقديرى أنه لو تحققت مثل هذه الأشياء ، لعاش الانسان فى عالم أسعد بكثير من أى عالم قدر عليه أن يوجد من قبل •

وات :

أى أنواع الشرور فى اعتقادك ، يمكن للانسان أن يدفعها بعيدا عنه ، لو قدر له أن يوجه عواطفه فى الطريق الذى تقترحه على هذا الانسان ؟

رسل :

حسن ، أولا وقبل كل شىء •• الحرب ، ويجىء بعد ذلك الفقر ، ففى الأيام الغابرة لم يكن فى الامكان تحاشى الفقر بسبب كثافة السكان ، أما فى الأيام الحاضرة ، فالأمر على خلاف ذلك• فلو أن العالم أراد ، لاستطاع أن يمحو الفقر فى زهاء أربعين عاما ، فالمرض على سبيل المثال ، أمكن محاصرته بشكل كبير ، ويمكن محاصرته أكثر وأكثر ، انه لا يوجد سبب كاف يجعل البشر عاجزين عن ان يستمتعوا بفترات من البهجه والمرح •

وات :

حسن ، فنحن الآن ، انما نتكلم عن طريقة تحقيق الخير الواقعى ، فيما أظن ، فما هى ألوان الخير الواقعى الأخرى ، التى يمكن للانسان أن يحققها فى المستقبل ؟

رسل :

فى اعتقادى أن قدرا كبيرا من تحقيق الخير يتوقف على التعليم ، فعن طريق التعليم يمكن التأكيد على أن الجنس البشرى انما هو أسرة واحدة ذات مصالح مشتركة ، وعلى ذلك يصبح التعاون أكثر أهمية من التناحر ، ومحبة الانسان لجاره ، لا كمجرد واجب أخلاقى تنصح به الكنائس ، ولكنه بالاضافة الى ذلك السياسة الحكيمة من وجهة نظر سعادة الانسان الخاصة .

وات :

ربما كان من أهم الفوائد التى يبدو أن العلم بصدد تحقيقها للجنس البشرى ، اختصاره نسبيا لساعات العمل ، بحيث تقتصر عدد ساعات العمل على عشر ساعات فى الأسبوع ، فماذا سيفعل الانسان بكل هذا الوقت من الفراغ ؟

رسل :

حسن ، سوف يفعل الانسان ، اذا ما تحققت صورة العالم الذى اتخيله عندما ينتابنى الشعور بالسعادة ، ما ينبغى على

الانسان أن يفعله ، أعنى أن يفعل ما كان يفعله الانسان المتحضر فى الزمن الماضى ، خذ على سبيل المثال الانسان الارستقراطى فى القرن الثامن عشر ، الذى كان نموذجا حقيقيا للانسان المتحضر • لقد كان يملك وقتا كبيرا من الفراغ ، ولكنه كان يعرف تماما ماذا يفعل بوقت فراغه ، حتى أن كثيرا منهم حقق أفضل الأشياء مما لا نكاد نجد له مثيلا الآن ، فما أكثر الذين أتوا أفعالا عظيمة، كتشجيع الفن ، واقامة الحدائق الجميلة ، وتشييد المنازل الباهرة ، الى آخر هذه الأشياء التى تنال منا الاعجاب • واننى لأرى بعين خيالى ، عندما ينتابنى الشعور بالبهجة ، عالما يمكن أن تتحقق فيه لكل انسان مثل هذه الاستخدامات الجيدة لأوقات الفراغ ، ذلك لأن كل انسان سوف يكون قد بلغ مستوى كافيا من الحضارة •

وات :

وماذا عن المغامرة فى هذا المجال الجزئى المحدود ؟

رسل :

المغامرات ينبغى أن تكون منظمة من قبل السلطات ، بمعنى أن السلطات ينبغى عليها أن تمكن من المغامرة ، دونما اتفاق باهظ سواء فى المال أو فى الوقت ، وذلك لاظهار أنواع حقيقيه من المغامرين • واذا لزم الأمر فلتكن مشروعات تتصف بالخطورة ، من النوع الذى يمتع صغار الشباب ، فالانسان

ينبغى أن يمكن من الذهاب الى القطب ، وينبغى أن يمكن من تسلق الجبال الشاهقة ، واذا ما تحققت رحلات الفضاء ، كان من الواجب على الانسان أن يكون قادرا على الاشتراك فى هذه الرحلات ، فالأشياء التى من هذا القبيل ، ينبغى أن تيسر سبلها أمام الانسان ، وهذا من شأنه تغيير مجرى الاهتمامات ، التى تندفع فى الوقت الحالى ، وبايقاع سريع نحو الحرب .

وات :

ما هى الرسالة الأخيرة التى تود أن تبعث بها الى الجنس البشرى فى مستقبله ؟

رسل :

أود أن أقول للجنس البشرى انك من خلال ما أوتيت من معرفة ، تملك من القدرات مالم يكن لدى الانسان من قبل ، وأنت قادر على توجيه هذه القدرات اما فى طريق الخير أو فى طريق الشر ، ولسوف تستخدمها فى سبيل الخير ، لو تحققت من أن الجنس البشرى كله انما هو أسرة واحدة ، ونحن أبناء هذه الأسرة فى أيدينا أن نكون سعداء وفى أيدينا أيضا وفى ذات الوقت أن نكون بؤساء . لقد انقضى الزمن الذى كانت فيه القلة السعيدة تستطيع أن تحيا على حساب بؤس الكثرة الكبيرة، لقد انقضى فعلا ذلك الزمن ، ولن يقبله البشر مرة آخرى . فعلى

الجنس البشرى أن يعلم من خلال ما أوتى من معرفة ، أنه لن يعيش سعيدا ، ما لم يعش جيرانه فى سعادة . وفى يقينى أن الناس لو عملوا على ترشيد تعليمهم وتوجيهه فى طريق الحكمة، لتفتحت أمامهم آفاق الطبيعة ، ولن يجدوا صعوبة فى أن يمنحوا غيرهم السعادة ، كشرط أساسى لكى يعيشوا هم أنفسهم سعداء. وطالما رأيت بعين خيالى ، عالما من سعداء البشر ، يملؤهم النشاط ، ويكتنفهم الذكاء ، عالما ليس فيه ظالم واحد ، ولا مكان فيه للظلم ، عالما من بنى البشر على وعى بأن مصالحهم المشتركة أرجح كفة من نزعات التنافس والتناحر التى من شأنها القضاء على الامكانيات العظيمة ، التى بوسع الذكاء البشرى والخيال البشرى أن يجعلها أمرا قابلا للتحقيق . ان مثل هذا العالم الذى أتحدث عنه يمكن أن يتحقق لو اختاره البشر ، وعملوا على تحقيقه . ولو قدر لهذا العالم أن يوجد ، أو أن يكون فى حيز الوجود ، فياله من عالم مجيد الى أقصى درجات المجد ، وياله من عالم عظيم الى أقصى درجات العظمة ، وياله من عالم سعيد الى أقصى درجات السعادة ، وياله من عالم ملىء بالخيال ، ملىء بمشاعر السعادة ، ملىء بما لم يمتلىء به عالم آخر من قبل هذا العالم .

فهرس

وللمترجم .. كتب اخرى

(ا) مؤلفة :

١ ـ حقيقة الفلسفات الاسلامية	دار الكتاب العربى
٢ ـ ثقافتنا .. بين الأصالة والمعاصرة	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣ ـ المسرح .. أبو الفنون	دار النهضة العربية
٤ ـ لن يسدل الستار	مكتبة الأنجلو المصرية
٥ ـ مسرح أو لا مسرح	دار المعارف بمصر
٦ ـ سقوط الأقنعة	دار الشعب
٧ ـ مصطفى محمود .. شاهد على عصره	دار المعارف بمصر
٨ ـ الضحك .. فلسفة وفن	دار المعارف بمصر

(ب) مترجمة :

● مسرحيات :

٩ ـ القرد الكثيف الشعر	ليوجين اونيل	روائع المسرح العالمى
١٠ ـ الاله الكبير براون	ليوجين اونيل	روائع المسرح العالمى
١١ ـ انظر وراءك فى غضب	لجون أوزبورن	مسرحيات عالمية
١٢ ـ الجنينة	لادوارد ألبى	مسرحيات مختارة
١٣ ـ من الوجودية الى العبث	سارتر ـ بيكيت	مسرحيات مختارة

● دراسات :

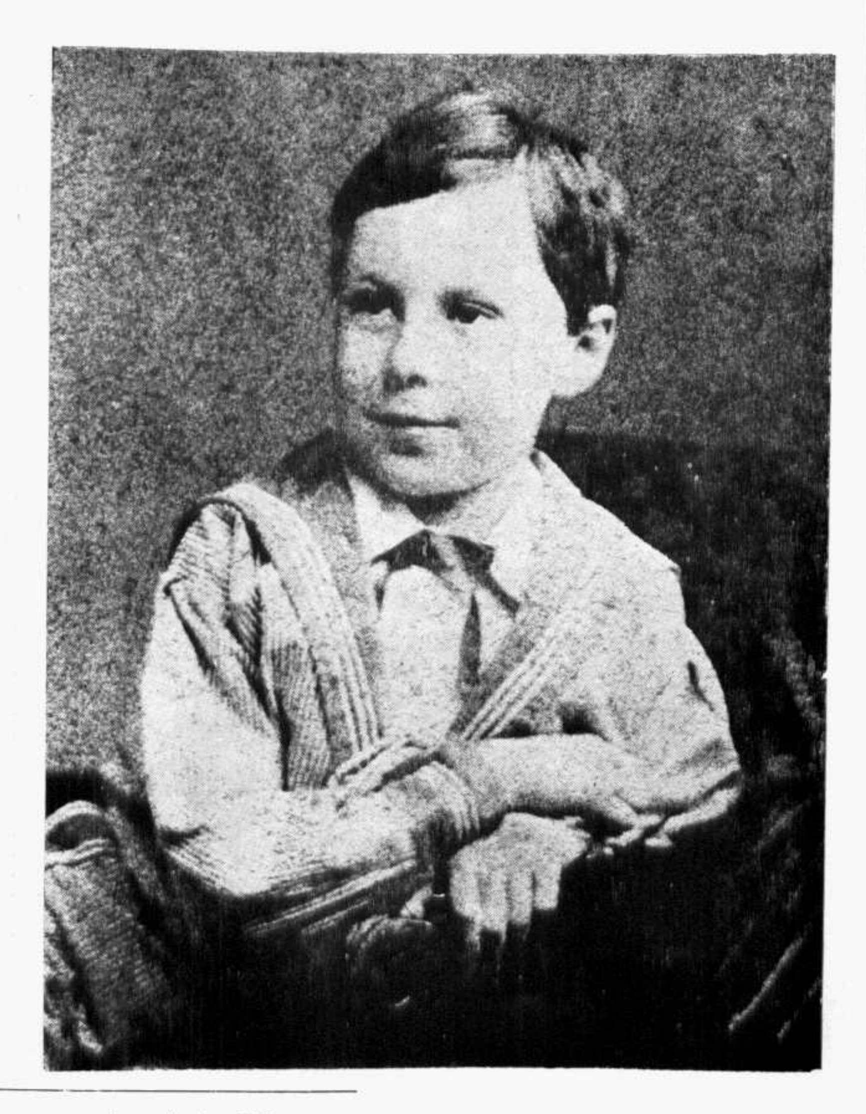
١٤ ـ فكرة المسرح	لفرنسيس فرجسون	دار النهضة العربية
١٥ ـ البر كامى وادب التمرد	لجون كروكشانك	دار الوطن العربى (بيروت)
١٦ ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة	(مع آخرين)	مكتبة الأنجلو المصرية
١٧ ـ محاورات برتراند رسل	لبرتراندرسل	الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٨٦٢/١٩٧٩
ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٦٩٢ ٣

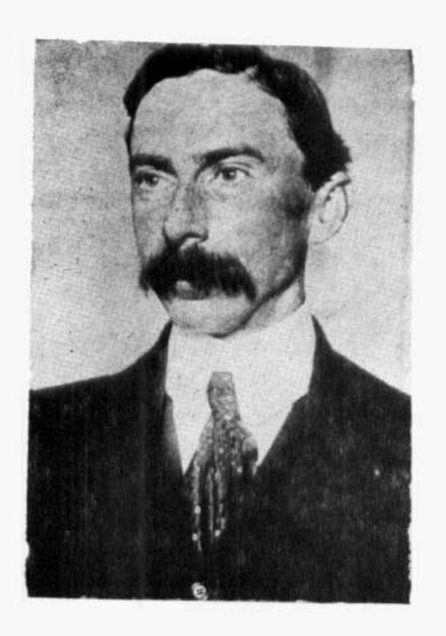


رسل وزوجته اليس في عام ١٨٩٤





أليس .. الزوجة الأولى



برتراندرسل فى رجولته



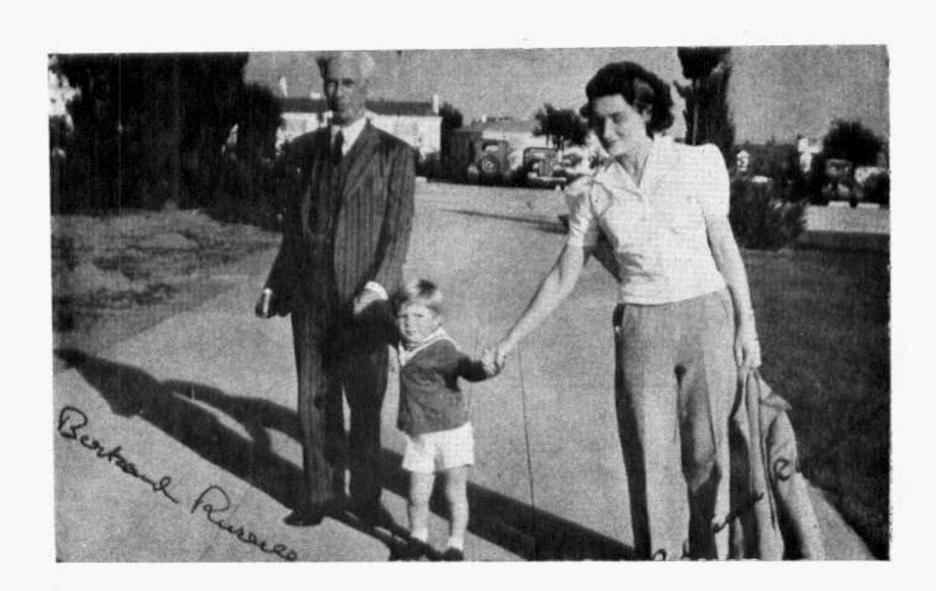
رسل أمام زوجته آليس في بيته بلندن



برتراند رسل في جامعة كيمبردج



برتراند رسل في
أثناء محاكمته عام ١٩١٨



رســل مع زوجتــه الثــانية
باتريشيا وابنهما كونراد فى
لوس أنجيلوس عــام ١٩٤٠



رسل وزوجته الثانية باتريشيا وابنهما كونراد



برتراند رسل يحتج على الحرب العالمية الأولى

رسل يداعب ابنه كونراد ومعه زوجته باتريشيا في عام ١٩٤٠





برتراند رسل فى جارسنجتون عام ١٩١٦



برتراند رسل في
جامعة هارفارد عام ١٩٤٠



برتراند رسل مع ابنه جون
يقوم بالدعاية الانتخابية عام ١٩٢٣



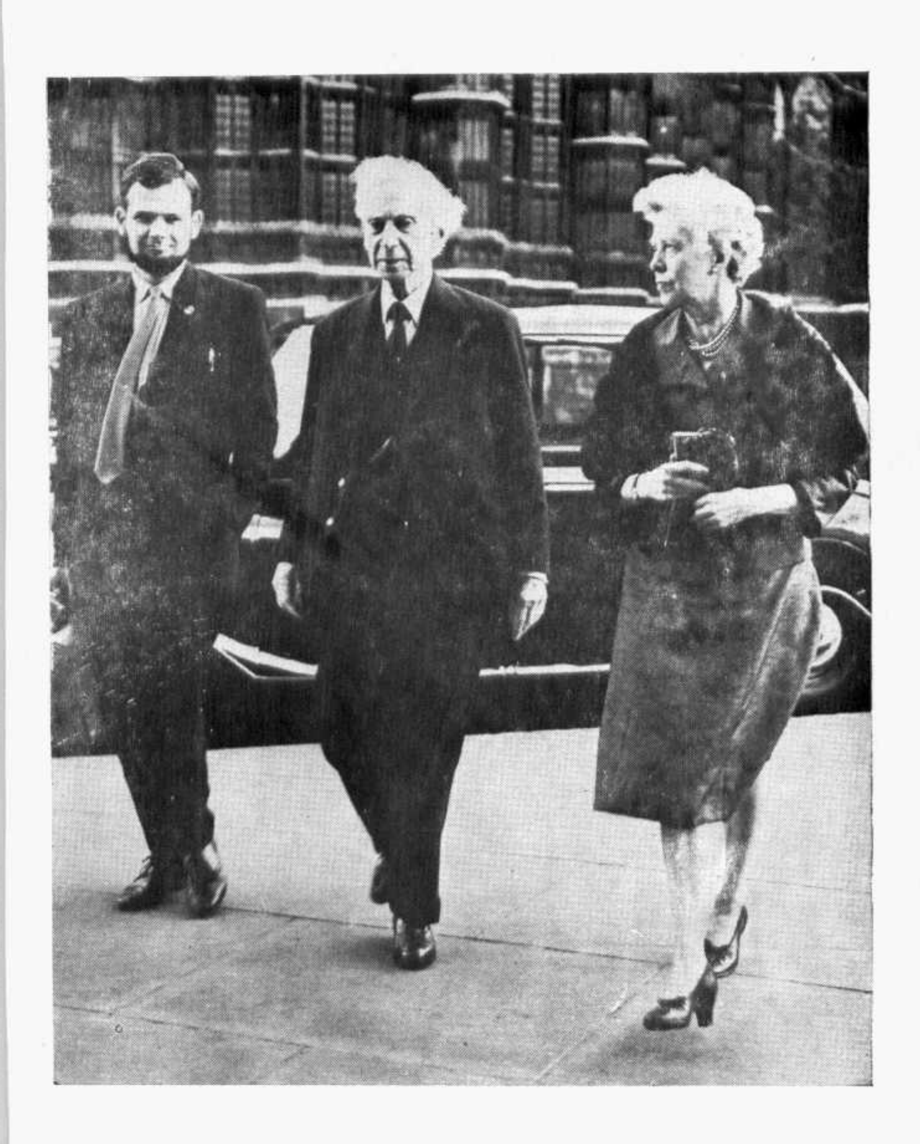
برتراند رسل فى جامعة بكين
أثناء زيارته للصين



برتراند رســـل مع الكاتب الزنجى جيمس بولدوين



برتراند رسل يقود مظاهرته السلمية ضد الأسلحة النووية



برتراندرسل فى مجلس العموم البريطانى
بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده التسعين عام ١٩٦٢